الفصل الحادي عشر

في النبوات عن المسيح ونبوات المسيح عن خراب اورشليم

ان النبوات عن المسيح الواردة في الكتب الالهية عديدةٌ ومفيدةٌ وتتضمن كثيرًا من المسايل حتى انهُ اذا أُريد الوقوف عليها على احسن طريقةٍ يحتاج ذلك الى اسهابٍ مستطيل. فلذلك نكتفي بالاشارة الى العظايم منها على طريقةٍ مختصرة. فنقول

اولًا انهُ لواضحٌ من قرآءة العهد القديم انهُ يوجد فيهِ اشاراتٌ عديدة الى مجيءِ شخصٍ شهير. وعليها اعتمد اليهود منذ الاجيال الاولى في انتظارهم مسيحًا. والظاهر انهُ منهم خرج الاعتقاد بظهور انسانٍ شهير في اليهودية الى ما بين القبايل المجاورة لهم. وبعض آيات الكتاب التي بُني عليها هذا الاعتقاد كانت هي الوعد بزرع المرأة[1] والوعد بزرع ابرهيم الذي بهِ تتبارك جميع القبايل[2] وشيلو الذي كان عتيدًا ان يخرج من سبط يهوذا قبل انقراض سلطة هذا السبط[3] والنبي الذي

(١) تكوين ص٣ ع١٥ (٢) تكوين ص١٢ ع٣ (٣) تكوين ص٤٩ ع١٠

يكون مثل موسى والرب يقيمهُ (١) والملك الذي يقيمهُ الرب على جبلهِ المقدس (٢) والكاهن الذي يكون على ترتيب ملكيصداق (٣) والغصن الصالح (٤) وحجر الزاوية (٥) وشهوة جميع القبايل (٦) وراعي اسرائيل (٧)

ثانيًا تعيّن زمان مجيء المسيح في النبوة بكونهِ قبل زوال قضيب الملك من سبط يهوذا وعند نهاية سبعين اسبوعًا نبوية اي اربع مايةٍ وتسعين سنة عُرِّ من زمان خروج الامر باعادة بناء اورشليم والهيكل الثاني باقٍ (٨)

ثالثًا ذُكِرَ في النبوة صريحًا مكان ميلادهِ والعايلة التي يتسلسل منها. ويتضح من التاريخ الانجيلي ومن اقرار اليهود بانهم عرفوا جيدًا ان المسيح يولد في بيت لحم ويكون من نسل داود

رابعًا تُنبِّئ عن المسيح باشياء في ظاهرها تناقضٌ. فتارةً يُوصَف كملكٍ وجبارٍ يتسلط على جميع الارض ويزهر بالعدل والسلام الى الابد. وتارةً كصعلوكٍ مهان ذي حزنٍ وغمٍّ كمجروحٍ ومرضوض وكمقطوع من ارض الاحياء وكمن سكب نفسهُ للموت. فهذه الصفات التي لاتجتمع في ظاهر الامر كانت سببًا لاعتقاد بعض اليهود ان النبوات تشير الى مسيحين احدهما

(١) تثنية الاشتراع ص١٨ ع١٥ (٢) مزمور ٢ ع٦ (٣) مزمور ١٠٩ ع٤ (٤) ارميا ص٢٣ ع٥ (٥) مزمور ١١٧ ع٢٢ (٦) حجي ص٢ ع٧ (٧) مزمور ٧٩ ع١ (٨) دانيال ص٩ ع٢٤

ظافرٌ غالب والاخر مظلوم مضطهد صبور. ولكن مع هذا التنافي في الظاهر قد اجتمعت هذه الصفات اكمل اجتماع في يسوع الناصري. ولا ريب ان ذلك لا يصح ان يقال في غيره اصلاً

خامساً قد تُنُبِّئَ ان المسيح يكون نوراً للامم وفي سياسته تتغير احوال العالم ويستولي السلام والعدل. ومع انهُ لم يتمَّ الاَّ جزءٌ من هذه النبوة نرى انهُ قد تمَّ منها في دعوة كثير من القبايل الوثنية الى المسيح وفي تاثير الديانة المسيحية السليم الشافي ما يدعونا الى الاعتقاد بان ذلك قد قيل بالهام من الله

سادساً لم يُتنبَّأ بان المسيح يُقطَع فقط بل انهُ يموت ذبيحةً ايضاً عوض الغير مكفِّراً للخطايا (١)

واما اتمام هذه النبوات فصريحٌ في غاية ما يكون في الاناجيل. ولا يمكن ان يُنكَر وجود المطابقة الكلية بين كلام الانبياء وتاريخ الانجيليين مهما كانت الاسباب في ذلك. والاصحاح الثالث والخمسون من نبوة اشعيا يقابل آلام المسيح وموتهُ مقابلةً اقنعت كثيرين من الكافرين

وما عدا ذلك قد تنبَّأ انبياء الله عن المسيح بامورٍ وظروفٍ كثيرة خصوصية يليق ان نذكرها هنا بالاختصار. قد تنبَّأ اشعيا وملاخيا عن يوحنا المعمدان الذي سبقهُ. وتنبَّأ اشعيا

(١) اشعيا ص٥٣

بمعجزاتهِ وبوداعتهِ الكاملة وخضوعهِ العجيب وهو في حالة العذاب الاليم. وتنبأ زخريا بركوبهِ على حمارٍ وعلى جحش ابن آتان وبانهُ يُبَاع في جسمهِ بحيث تُرَى جراحهُ وبانهُ يباع بثلثين من الفضة وبان هذه الفضة تُخَصَّص بشراء حقل الفخار. وتُنبِّي في كتاب المزامير بانهم يقتسمون ثيابهُ ويقترعون على لباسهِ وبانهُ يُسقَى خلاً. وقد ذكرت تلك الكلمات التي قالها وهو متروكٌ على الصليب من الله في المزمور الثاني والعشرين حيث يقول الهي الهي لماذا تركتني

وتُنبِّي ايضًا في شريعة موسى رمزًا عنهُ بانهُ لا يُكسَر منهُ عظمٌ. واتمام هذه النبوة فيهِ كان غريبًا اذ كُسِرَت ساقا الاثنين اللذين صُلِبا معهُ دون ساقيهِ. وتنبا اشعيا انهُ يُجعَل قبرهُ مع الخطاة ومع الاغنياء في موته. وذلك قد تمَّ افضل تمامٍ لما عُلِّق على الصليب بين لصَّين ولما انزلهُ عن الصليب رجلٌ غني ودفنهُ في مقبرتهِ الجديدة. وقد تمَّ اكثر هذه الامور باعمال اعدائهِ وهم لا يشعرون بانهم يتممون نبوةً الهيَّة. ولا يمكن ان يكون اتمام هذه الامور الكثيرة التي سبقت النبوة بها واقعًا بطريق الصدفة والاتفاق

وبالحقيقة ان جميع الشريعة الطقسية الموسوية كانت نبوةً عن يسوع. واليهِ اشار العهد القديم الناموس والمزامير والنبوات جميعها كما قال الملاك ليوحنا روح النبوة هو الشهادة ليسوع

ثم ان المسيح نفسهُ لما كان على الارض تنبَّا بنبوات عديدة صريحة . ولاكثر امثالهِ كانت صفة نبويةٌ تشير واضحًا الى تقدُّم الانجيل ورذل اليهود ودعوة الوثنيين وحالة الكنيسة المستقبلة . وبنبوات صريحة ايضًا تنبَّأ بما كان عتيدًا ان يصيب تابعيهِ من العالم وبخيانة يهوذا الاسخريوطي وبانكار بطرس اياهُ ثلث مراتٍ في ليلةٍ واحدة وبظروف موتهِ على التفصيل وبقيامتهِ من الموت في اليوم الثالث . ولكننا نترك جميع ذلك الان ونأتي الى النبوة العجيبة التي تفوَّه بها يسوع لتلاميذهِ على جبل الزيتون عن خراب هيكل اورشليم وجميع شعب اليهود . وكان ذلك قبل ان تمت بنحو اربعين سنة وكتبها متى قبل تمامها بثلثين سنة او عشرين على الاقل . وكتبها ايضًا مرقس ولوقا بعد ما كتب متى انجيلهُ ولكن قبل ان وقعت الامور العظيمة التي كانت النبوة تشير اليها بسنين كثيرة . والقدماء يشهدون بان هذين توفِّيا قبل افتتاح الرومانيين الحرب على ارض اليهودية . واما يوحنا فكان وحدهُ لم يبقَ حيًّا من الذين كتبوا الاناجيل وربما من الرسل ايضًا لمشاهدة اتمام نبوة الرب . ويستحق الاعتبار كون ذلك لم يذكر في انجيل يوحنا اصلاً

ويجب ان نلاحظ هنا انه لما تنبَّا الرب هذه النبوة لم يكن خراب اورشليم في الظاهر محتمل الوقوع . لان اليهود كانوا يومئذٍ في راحة وكانت قوة الرومانيين في حالٍ لا يُظَنُّ منها ان

قبيلةً صغيرة مثل اليهود تعصاهم

واما كلام هذه النبوة فهو موجود في الاصحاح الرابع والعشرين من انجيل متى وفي الاصحاح الثالث عشر من انجيل مرقس وفي الاصحاح السابع عشر والحادي والعشرين من انجيل لوقا. ومرادنا الان ان نجمع كل ما كان مهمًّا من قضايا هذه النبوة ثم نبيّن كيفية اتمام ذلك. فنقول ان النبوة تتعلق اولًا بالعلامات التي سبقت خراب المدينة المقدسة. ثانيًا بظروف حصارها وافتتاحها. ثالثًا بعواقب هذه الحادثة الهايلة

فاولًا تُنبِّي بان العلامات التي تسبق هذا الامر تكون مُسحاءَ كَذَبة وفتنًا وحروبًا وجوعًا ووبأً وزلازلَ وامورًا غير طبيعية تظهر في السماء واضطهاد المسيحيين وارتداد بعض المومنين وعدم وجود الرحمة وفساد الآداب بين الناس

ثانيًا تُنبِي بان ظروف هذا الحكم من الله تكون ان هذا الامر يحدث قبل زوال ذلك الجيل كلهِ. وان ذلك يحصل من حروبٍ ضد اليهود تثيرها قبيلةٌ وثنية حاملة رايات وثنية. وان اورشليم تخرب خرابًا تامًّا ويهدم الهيكل بحيث لا يبقى حجرٌ على حجرٍ. وانهُ يهلك خلقٌ كثير بالسيف. وان جمهورًا من الناس يساقون اسارى. وان الضيق حينئذٍ يكون اشد ما حصل في العالم. وان الرجز الالهي يكون ظاهرًا في جميع هذه المصايب لان ذلك دُعِي يوم الانتقام وقيل انهُ يكون رجزٌ على الناس

ثالثًا تُنبّي بان تكون عاقبة خراب هيكل القدس تفرُّق اليهود بين جميع القبايل وتمام انقراض دولة اليهود الذي تشير اليهِ الاستعارات النبوية في ان الشمس تظلم والقمر لا يعطي ضوءهُ وتتساقط النجوم من السماء. ورذل اليهود ودعوة الامم. وقيام انبياء ومُسحاء كذبة. واتساع هذه الاحكام على شعب اليهود ودوامها مع شيء من اللوايح لرجوعهم. وتُنبّي ايضًا بخلاص المسيحيين من هذه الشدايد ووُعِد لاجلهم بان تُقصَّر تلك الايام. واخيرًا تُنبّي بانهُ يُكرَز بالانجيل في جميع القبايل

فينبغي لنا الان ان نبحث في كيفية اتمام هذه النبوات الكثيرة العجيبة. ومما يستحق الاعتبار ان العناية الالهية رتبت ان تاريخ الوقايع التي تمّت فيها هذه النبوات يكتبه رجلٌ غير مسيحي قد عاين ما كتبهُ. وهو المورخ يوسيفوس الشهير بالصدق. وشهادتهُ عظيمة الغاية في امر الديانة المسيحية لانهُ كان يهوديًا ومات يهوديًا ايضًا

اما من جهة المسحاء الكذابين الذين ورد ذكرهم صريحًا في النبوة فنعلم من المورخ المذكور ان مزورين وسحَرة جذبوا اليهم كثيرين الى البرية يَعِدونهم بالمعجزات والعجايب. فمنهم من اصابهُ الجنون ومنهم من عاقبهُ فيلخس الوالي. وكان من المزورين ذلك المصريُّ الذي ذُكِر في كتاب اعمال الرسل انهُ جذب اليهِ كثيرين من الناس الى جبل الزيتون واعدًا اياهم بانهُ يخرب

اسوار اورشليم بكلتيهِ. وثوداس ايضاً كان من الذين ادَّعوا النبوة. وقال انهُ يقسم مآء الاردن شطرين. ولكنهُ هرب امام كوسبيوس فادوس وتفرَّقت اتباعهُ. واما هو فقُبِض عليهِ قُطِع راسهُ وحُمِل الى اورشليم. وفي مدة ولاية نيرون لما كان فيلبس والياً على اليهودية ظهر كثيرٌ من المزوّرين حتى ان المورخ اخبرنا انهُ كل يومٍ كان يُمسَك اناسٌ منهم ويُقتَلون

وكان اذ ذاك انزعاجات عظيمة وفتن وحروب هايلة في اماكن شتَّى كقيسارية والاسكندرية وبابل. وهاج خصام شديد بين اليهود والسمرة وايضاً بين اليهود والساكنين معهم في المدن من القبايل الاخر. وقد اخبرنا يوسيفوس وفيلو خبرًا مستطيلاً عن هذه الفتن التي قُتِل فيها كثيرٌ من الناس. وحدث الجوع والوبأ والزلازل على قول سويتونيوس وغيرهِ من المورخين الوثنيين ونقل عنهم ذلك اوسابيوس ويوسيفوس وتاسيتوس وسينكا

وقد صرَّح يوسيفوس وتاسيتوس بان كثيرًا ما شوهد من العجايب حينئذٍ. فيقول يوسيفوس ان نجمًا كالسيف تعلَّق فوق المدينة سنةً كاملة. وان في الساعة التاسعة من الليل اضآء نورٌ ساطعٌ حول المذبح والهيكل وكان نورهُ كنور النهار مدة نصف ساعةٍ. وان باب الهيكل الشرقي الذي كان يغلقهُ عشرون رجلاً لعظمهِ ويتركونهُ مغلقًا بالعوارض المنيعة انفتح من

ذاته. وانهُ قبل غروب الشمس كان يُرَى في السحب خيالات مركبات وجيوش تتحارب. وانهُ في عيد الخمسين اذ كان الكهنة يدخلون الى الهيكل الداخلي سمعوا صوتًا كضجيج اناسٍ كثيرين قايلاً لنذهب من هنا. واما ما اثَّر في الناس اكثر من غيرهِ فهو مجيء رجلٍ من الخارج الى القدس في عيد الخيام بعد ابتداء الحرب باربع سنين راكضًا في المدينة يصرخ نهارًا وليلاً قايلاً صوتٌ من المشرق وصوتٌ من المغرب وصوتٌ من الرياح الاربع صوت ضد اورشليم والهيكل الويل الويل لاورشليم. فكان باطلاً اجتهاد الولاة في كفهِ عما هو فيهِ بالجلد والعذاب. فانهُ لم يزل يصرخ ولاسيما في الاعياد الحافلة مدة سبع سنين وخمسة اشهر لا يتعب ولا يبحُّ صوتهُ الى ان كان يومًا على السور في الحصار يصرخ كعادتهِ فاصابهُ حجرٌ فوقع قتيلاً. وتاسيتوس المورخ الروماني يشهد كما شهد يوسيفوس فيقول وشوهد جيوش في السماء قد انتشب الحرب بينها ولاح لمعان اسلحتها ونار من السحاب اضاءت في الهيكل وانفتحت بغتةً ابواب الهيكل الداخل وسُمِع صوتٌ يفوق صوت البشر قايلاً ان الالهة ذاهبة وحالاً لُحِظَت حركة ذهابها. انتهى. فكيفما يحكم الناس في هذه الاخبار يظهر منها جليًّا ان عقول الناس اذ ذاك كانت منزعجة ومرتعدة مما كان ظاهرهُ لهم انهُ من العجايب والى ذلك يشير قول النبوة وتكون مناظر مخيفة وعلايم عظيمة من السماء

واما ظروف الحصار وافتتاح المدينة فقد تُنُبِّي عليها ايضًا بالتفصيل. فكانت رجسة الخراب التي ذكرها دانيال النبي هي عساكر الرومانيين الذين كانت رايتهم نسرًا واقفًا على رمحٍ وهذه الرايات كانوا يعبدونها كآلهةٍ. فوقفت هذه حيث لايجوز لها ان تقف لانها نُصِبَت ليس في الارض المقدسة فقط بل في المكان المحرَّم حيث كان الهيكل قايمًا. واما المسيحيون فكان قد اتاهم الانذار بانهم متى ظهر هذا الخراب الرجس يبادرون حالًا الى الهرب. ففعلوا كذلك وعوض ان يذهبوا الى المدينة كما فعل غيرهم هربوا الى بلاَّ وراء الاردن

وقد حصل لليهود داخل المدينة من الضيق ما يفوق التصديق. لانهُ كان مجتمعًا منهم هناك اكثر من مايتي الف الف فازدحموا ببعضهم لضيق المكان. ولا يمكننا ان نتصور ما اصابهم ايضًا من الشدة في القتال المتصل مع الرومانيين وفي الانقسام الذي حصل بينهم في انفسهم وفي الجوع والوبأ اللذين اكتنفاهم. فلم يصادف قومًا مثل هذه الضيقة قبلاً ولعلهُ لايصادف احدًا من بعد

فاحاط باورشليم العساكر المحاصرون من كل جانب ومع ان حصونها كانت عظيمة القوة لم تمتنع عن الاخذ. ومع ان تيطس كان قد اعطى اوامر مخصوصة بان لايُهدَم الهيكل كان فم الرب قد اعلن ان الامر لايكون كذلك. فأُحرِق وهُدِم

وحفرت العساكر اساساته طمعًا في وجود خزاين مكنونة هناك وبعد ان خربت المدينة امر تيطس ان تُمهَّد ارضها كالحقل بحيث لايكاد احدٌ يشعر بانها كانت معمورةً قط

وقد ذكرنا عدد الذين قُتِلوا في الحرب. واما الاسارى فكانوا سبعة وتسعين الفًا. ويوسيفوس اذ يقصُّ هذه الوقايع يستعمل كلامًا يطابق كلام المسيح في نبوته. فيقول لو قابلنا مصايب جميع الناس منذ خليقة العالم بما قاساهُ اليهود لوجدناهُ اعظم من جميعها. واما كلام المسيح في ذلك فهو قولهُ وتكون ضيقة عظيمة لم يكن مثلها منذ بدء العالم الى الان ولا يكون فيما بعد

وقد اقرَّ يوسيفوس اليهودي وتاسيتوس الروماني الوثني ان هذه المصايب التي لانظير لها جاءت من نقمة الله على قومٍ امتلأت كاس ذنوبهم. وتيطس ايضًا بعد ان اجال نظرهُ في المدينة وعلو ابراجها واسوارها وعظم حجارتها وقوة الربايط التي ارتبطت بها هتف قايلاً بموازرة الله قد ظفرنا في هذه الغزوة وهو سبحانهُ الذي اخرج اليهود من هذه الحصون لانهُ ماذا تستطيع ايدى البشر او آلاتهم الحربية ان تصنع في مثل هذه الابراج. انتهى. ولم يَرضَ ان يُكلَّل بعد هذه الغلبة كما جرت عادة الرومانيين قايلاً انهُ لم يكن هو صاحب هذا العمل العظيم ولكن غضب الله على اليهود هو الذي اعطاهُ الغلبة

واخيرًا نقول انهُ قد نُبِّي عن عواقب هذه الواقعة الهايلة

بكل تدقيق وتمّ ذلك ايضاً كل تمام . فتفرّق ما بقي من اليهود على وجه الارض وهم لا يزالون على هذه الحال الى يومنا هذا. والمسيحيون اذ عملوا بمقتضى تحذير ربهم تخلّصوا من كل شدايد الحصار. والامم داسوا القدس ولا يزالون يدوسونها الى هذا اليوم

نعم ان ادريانوس القيصر الروماني بنى اورشليم ثانيةً ولكن ليس في مكانها الاول بعينهِ وسماها ايليا وبقي ذلك اسمها الى ايام قسطنطين. ويوليانوس القيصر الذي وُلِد في الديانة المسيحية ثم كفر بها فهذا بغضةً لهذه الديانة وإبطالاً لقول النبوة ان الامم تدوس القدس قصد ان يرجّع اليهود اليها ويبني هيكلهم. ففرض كثيراً من المال لهذا العمل واقام عليهِ احد امرآئهِ وساعدهُ على ذلك والي البلاد التي كانت القدس جزءاً منها. ولكن لم يمكن ان يتوصل اصحاب العمل الى الاساسات لانهُ خرج منها قطع نارٍ مخيفة واحرقتهم ولهذا عدلوا عن مقصودهم. ولهذا الخبر يوجد من الشهود ما يلجينا الى تصديقه. فقد شهد بذلك يوليانوس نفسهُ ومورخه اميانوس مرسلينوس الوثني وزيماخ داود اليهودي الذي يعترف بان العناية الالهية اعترضت يوليانوس في عملهِ والنازينزي ايضاً وفم الذهب من الروم وامبروسيوس وروفينوس من اللاتينيين. وجميعهم كانوا في زمان وقوع هذا الامر العجيب. وبعد خمسين سنة من ذلك كتبهُ المورخون

ثيودوريت وسقراط وسوزومين وفيلوستورجيوس وهم ممن يوثق بهِ . واما ما يتعلق من النبوة برجوع اليهود فباقٍ لينمّ . وعند ما يتمّ ذلك يتمّ البرهان من هذه النبوة ويلزم التصديق الكامل وذلك يكون عند ما تنمّ ازمنة الامم . وقد اطال الكلام بولس في رسالتهِ الى الرومانيين على ظروف هذا الامر العظيم . فانهُ يقول وان كانت عثرتهم غنآً لاهل الدنيا ونقصانهم صار غنايةً للامم فكم بالحري ملوّهم . فاني لست اريد ان يفوتكم يا اخوتي هذا السرّ ان العمى انما اتى اسرائيل لبعضهم الى ان يدخل ملؤ الامم وبهذا يخلص كل اسرائيل (١) ولا حاجة الى ذكر بشرى الانجيل الى جميع القبايل لاننا قد ذكرنا ذلك فى مكانهِ

فبعد هذا النظر اليسير الجامع الى بعض نبواتٍ غريبة توجد في الكتاب المقدس لايمكن ان يقنع احدٌ ضميرهُ بان جميع هذه المطابقات قد حصلت على سبيل الصدفة . او ان جميع ذلك قد اخترعتهُ الفطنة البشرية . ومن لايرى السراج المنير في مكانٍ مظلم من هذه النبوات التي جآءت من وحي روح القدس على لسان الانبيآء (٢) فهو اعمى لايبصر شيئاً

(١) صل (٢) بطرس الثانية ص ١ ع ١٦ الى ع ٢١

الفصل الثاني عشر

في انهُ لايوجد ديانة حاصلة على ما حصلت عليهِ الديانة المسيحية من بيّنات المعجزات

اذ قد فرغنا من النظر الى الادلّة الخارجية على صحة الديانة المسيحية راينا ان نبحث في انهُ هل لديانةٍ اخرى قديمةً كانت ام حديثة كما لهذه الديانة من البينات . وهل يوجد لمعجزاتٍ اخرى كما يوجد للمعجزات المذكورة في الانجيل من الشهادات المقنعة على صحتها

ان ما يموّه بهِ الكافرون غالبًا في هذا الموضوع قد يجعل الواقف على مذهبهم اذا كان جاهلاً يزعم ان جميع الاديان متشابهة في اصلها . وان جميعها تدّعي بالمعجزات والوحي وانها لذلك تكون متساوية في الحق . ولكن عند ما ناتي الى تدقيق النظر ونسال ايّ ديانةٍ موجودة او منسوخة تاتي بحقيقة دعواها من المعجزات المشهود لها بافضل الشهادات ومن تمام النبوة المدقق لا نجد الاّ الديانة اليهودية والديانة المسيحية . لاننا من الديانات الوثنية العديدة لا نرى واحدة قد تاسست على معجزات ظاهرة او نبوات سابقة . نعم كان لها من الخرافات والاجوبة من

آلهتها ما اضلّ الجمهور المايلين الى التصديق. وادّعى مؤسّسوها بانهُ قد أُنزِل عليهم الوحي او بانهم قد ناجوا الالهة. ولكن هل يمكن ان يأتي احدٌ من جميع اديان الوثنيين بمعجزةٍ يُشهَد لصحة وقوعها شهادة يوثق بها. وهل اتى الوثنيين قط اعلانٌ غير مشتبه لايحًا عليهِ ان الهتهم كانوا يعلمون الغيب. ان الادّعاء بوحيٍ الهيٍّ هيّنٌ يقدر عليهِ كل احدٍ ولكن الصعوبة في اثباتهِ

هذا وانه لا خلاف في انهُ قد ظهر في العالم كثيرٌ من المزورين واصحاب الخيالات المخدعين. وان السبب في وجوب رفضهم وعدم تصديق دعاويهم انما هو عجزهم عن اظهار بينةٍ كافية على انهم قد أُرسِلوا من الله ليعلّموا الديانة للناس. واذ قد اتفق الجميع في ذلك فما الفايدة من الاتيان بهذه التزويرات والخداعات ونحن في فحص الادلة على الديانة المسيحية. هل يكون وجود دعاوي كثيرة كاذبة بوحي الهي سببًا لرفض ديانةٍ مثبتة باقوى الشهادات. هل تُنكَر صحة المعجزات المثبتة ببينات كثيرة لانهُ قد أُخبِر عن عجايب ومعجزات غيرها لا بينة لها. ولان اجوبة الالهة الوثنية اعطت في امورٍ عتيقةٍ اقوالًا غير قاطعة ملتبسة. أَلا نثق بنبواتٍ كثيرة صادقة قد كُتبت من زمانٍ طويل وتمت على نوعٍ ادقَّ واغرب ما يكون

قد قيل ان اخبار جميع القبايل القديمة انما هي حكاياتٌ فارغة وهي مشحونة من قصص العجايب التي لا يمكن تصديقها.

ومن ذلك قد يُستنتَج ان معجزات العهد القديم والجديد كذلك فنجيب ان اتفاق القبايل العمومي على وجود معجزاتٍ يوافق المذهب انهُ قد حدثت في وقتٍ ما معجزاتٌ حقيقية. ونقول ايضًا ان لتاريخ موسى الذي هو اقدم من كل تواريخ اليونانيين والرومانيين باكثر من الف سنة كل بينةٍ على انهُ خبرٌ عن حوادث حقيقية. وفضلاً عن ذلك لم يكن العصر الذي وقعت فيهِ المعجزات المذكورة في العهد الجديد عصر الظلام والخرافات بل كان افضل الاعصر الوثنية نورًا وفيهِ وُجِد اشهر المورخين والخطباء والشعراء. فلم يكن قطُّ زمنٌ يتعسَّر فيهِ تصديق الجمهور بمعجزاتٍ غير مثبتة بالشهادات القاطعة اكثر من ذلك العصر وما يليهِ. وكان ايضًا في ذلك الوقت ميلٌ عموميٌّ الى الارتياب والكفر. ولهذا لا تنتج من اعتقاد الاعصر القديمة المظلمة باخبار معجزاتٍ غير مثبتة نتيجةٌ غير موافقة للديانة المسيحية بل لا بد من ان ظهور اخبار المعجزات الكاذبة كان يوقع الحذر والفحص الدقيق في ادلة كل خبر مثلها. لان العقل السليم لا يرضى باختلاط الحق والباطل بل يطلب ان تدخل كل قضيةٍ تحت فحصٍ دقيق فتقوم او تسقط بحسب قوة البينة وضعفها. فان لم يكن للمعجزات المذكورة في الكتاب المقدس من البينات افضل مما لخرافات الوثنيين فلا يجب تصديقها اكثر من هذه. ولكن اذا كان لها بينات كافية فلا يجب ان تختلط باخبارٍ يظهر كذبها من

نفسها او على الاقلّ ليس لها من الشهادة ما يحتمل التصديق

ولا سبيل الى الحكم في قضايا وقعت منذ زمانٍ طويل الا بالشهادة. ولا ريب ان حقيقة الديانة المسيحية هي امرٌ واقعٌ اذ قد اتينا اثباتًا لذلك بشهادات لا يمكن تكذيبها. والان نطلب من اخصامنا ان يُرونا ديانةً اخرى مبنية على مثل هذا الاساس الوطيد. لكنهم عوضًا عن ذلك يريدون ان يلهونا بكلامٍ فارغٍ في شدة ميل الانسان الى التصديق وفي كثرة الاحاديث الكاذبة التي ذاعت بين الناس وصدَّقوا بها. ولكن ماذا يتعلق ذلك بالمسألة. فاننا نسلّم بقولهم هذا ومع ذلك نصرّح بان لا شيء فيهِ من البرهان على تكذيب الامور التي كتبها اصحاب الاناجيل المثبتة باقوى الشهادات. فهل لانهُ يوجد كثيرٌ من الكذب في العالم ينقطع وجود الصدق. لو صحَّ ذلك لصحَّ انكار وجود اهل الصدق لان اهل الكذب كثيرون

واما المعجزات الكاذبة التي يُؤتى بها لخصمٍ لمعجزات المسيح ورسلهِ فتقديمها حيلةٌ قديمةٌ اقل ما يكون من عهد الجيل الثاني بعد ميلاد المسيح اذ كتب فيلوستراتوس بطلب جوليا اوكستا امراة سويروس الامبراطور تاريخًا او بالحري حكاية عن ابولونيوس. وكان هذا ابولونيوس من تيانا احدى مدن كبادوكيا وكان معاصرًا للمسيح بالتقريب. ولكن لا يُعرَف الان هل كان فيلسوفًا امر ساحرًا الان حكاية فيلوستراتوس عنهُ التي لم تزل

موجودةً الى الان ليس فيها شيءٌ من الاشارة الى شهود العين ولا الى حججٍ ما صحيحة بل يلوح عليها من الكذب كل ما يلوح على غيرها من الحكايات الباطلة. نعم انه لم يُذكَر فيها ان كاتبها قصد ان يضع ابولونيوس هذا خصمًا ليسوع المسيح ولكن ذلك صريحٌ من مشابهة كثيرٍ من معجزاتهِ للمعجزات المذكورة في الانجيل التي يُظَنُّ انهُ نقلها عنهُ. اذ قيل انهُ اقام الموتى واخرج الشياطين وقام هو نفسه من الموت. وقيل ايضًا ان الكلمات التي قالتها الشياطين للمسيح وذكرها لوقا في انجيلهِ وهي قولهم أأتيت قبل الزمان لتعذبنا قالها شيطانٌ اخرجهُ ابولونيوس. وما عدا هذه المعجزات يدَّعي الذي كتب سيرتهُ انهُ راى وحوشًا رؤسها آدميةٌ وجثثها اسديةٌ ونساءً نصفهنَّ ابيض ونصفهنَّ الاخر اسود وغيلانًا وعفاريت وجنًّا ومسوخًا وغير ذلك من الاوهام الباطلة

ثم في الجيل الرابع عمل هيروكليس الذي كان شديد البغض لديانة المسيح مقابلةً بين يسوع وابولونيوس وبعد ملاحظة معجزاتهما فضَّل ابولونيوس على يسوع. واما كتابه فمفقودٌ لكن اوسابيوس رد عليه ومن هذا الرد نطَّلع على ما اخبر بهِ هيروكليس. والحاصل من خبر ابولونيوس المذكور هو ان معجزات المسيح كان يُعتقَد بها في الجيل الثاني اعتقادًا شديدًا وكان لها عضدٌ من الشهادة بحيث لم يستطع اعداء ديانته على

انكارها. ولذلك احنا لوا في اذاعة اخبارٍ عمَّا يساويها من معجزاتٍ صنعها غيرهُ

وفي هذه الايام ايضًا قد التجأ الكافرون الى هذه الحيلة نفسها واتخذوا معجزاتٍ غير صحيحة لا يصدَّقونها برهانًا على عدم صحة معجزات المسيح ورسلهِ. فلذلك راينا ان نضع هنا بعض مبادئ عمومية تمتاز بها المعجزات الصحيحة من الكاذبة

اولاً يجب امعان النظر في حقيقة الحوادث الواقعة هل هي من باب المعجزة. اذ قد تكون الشهادة كافيةً لاثبات وقوع الحادثة ومع ذلك تكون قد وقعت عن اسبابٍ طبيعية فلا تكون معجزة

اما معجزات المسيح فكانت لا تحتمل الريب في كونها فايقة الطبيعة بخلاف ما علمهُ غيرهُ. فان المشهود بصحة وقوعه من عجايبهم كان اكثره مما لهُ اسبابٌ طبيعية كافية لوقوعهِ من دون توسطٍ خصوصي من العناية الالهية فيهِ. فلا ريب في ان الرجل الذي كان مصابًا بعينيهِ مثلاً وقيل انهُ شفي بمرور يد فسباسيانوس الامبراطور عليهما كان ذلك من مكر كهنة الهيكل الذي حدث فيهِ هذا الصنيع. وكذلك الاعرج الذي شفي بلمس رِجل هذا الامبراطور. فانهُ لم يكن يدَّعي بان لهُ قوَّة عمل المعجزات ولم يجرّب ذلك الاَّ بعد الطلب الكثير. نعم اننا ربما نسلّم بصدق الوقايع حسبما اخبر بها تاسيتوس مع انهُ لم يعاينها

لانهُ يُحتَمل انهُ قد أُتي برجلين مثل المذكورين وانهما ادَّعيا بالشفاء. ولكن ما البينة على ان ذلك كان معجزةً حقيقية اذ لم يكن احدٌ حاضرًا ممن يريد الفحص عن صحتها لكونهِ لا يعتقد بذلك الدين. ويُحتَمل ان الكهنة الذين طلبوا من الامبراطور عمل المعجزة كانوا قد علَّموا وأعدُّوا اللذين ظهرت فيهما وان الامبراطور تعلق بذلك اذ حسب انتخاب الهم اياهُ لعمل المعجزة انه اكرامٌ. وجميع ما مُدِح بهِ تاسيتوس لرفع شان شهادتهِ لا محلَّ لهُ هنا لانهُ اخبر بما سمع من الاخرين فقط. والظاهر من كلامهِ انهُ لم يصدِّق ما سمع

وقد تبيَّن من الفحص ان كثيرًا من الاشفية التي حصلت في مقامات الموتى كان من باب الحيلة والشعبذة. وان ما كان منها صحيحًا كان من انفعال مخيلة متهيِّجة كما قد راينا تاثيرها في استعمال المغناطيس الحيواني والقضبان المعدنية. من ذلك ما حدث عند قبر النبي باريز. فانهُ كان اكبر بني احد الشرفاء في مدينة باريس ولاجل شدة ميلهِ الى العبادة ترك ميراثهُ لاخيهِ الاصغر ونزل في بعض اماكن المدينة الغير المانوسة واصرف حيوتهُ في التقشف الشديد والاهتمام باغاثة الفقراء. ثم مات فدُفِن في ارض كنيسة مار ميدارد بقرب السور حيث بنى اخوهُ قبةً على قبرهِ. فجاء كثيرٌ من الفقراء الذين كانوا يعرفون سيرة حيوتهِ وصاروا يصلُّون هناك وربما كان ذلك منهم لاحسانهِ اليهم. ثم ادَّعى بعض الذين كانوا يصلُّون هناك ان امراضهم

كانت تشفى بذلك. ولما شاع الخبر قام الجنسانيون الذين كان القس المذكور من مذهبهم يدّعون بان معجزاتٍ ظهرت عند قبرهِ، وبذلك سيق كثيرون من المرضى الى زيارة ذلك القبر. ولكن لما تمادى الامر انتصب جماعةٌ من اهل التحقيق للنظر في ذلك فاقرّ لهم بعض الزابرين انهم قد كُلِّفوا بان يدّعوا امراضًا لم تكن فيهم. وكان الواقع ان اكثرهم لم ينتفعوا شيئًا. وقد تجدَّد من الامراض اكثر مما شُفِي لان كثيرًا من العابدين اخذهم نوعٌ من الرجفة ومن ذلك اشتهرت طايفة الرجفيين مدة سنين. ثم راوا مناسبًا ان يقطعوا الناس عن زيارة القبر. ولكن لم ينقطع الخبر عن هذا القديس انهُ كان يشفي المرضى ولو كانوا بعيدين. فجدَّ اليسوعيون واجتهدوا في تكذيب الخبر باجمعهِ. واقام اسقف باريس ديوانًا للنظر في اغرب ما حدث من الاشفية فكانت نتايجهُ متنوعة ومنها ما كان مضحكًا. وكان من هذه الاشفية ان صبيَّةً قيل انها شفيت عند القبر من العمى والعرج ولكن عند الفحص ظهر انها لم تكن البتة مصابةً بذلك. ومنها ان رجلاً قيل انهُ كان سقيم العينين فصحَّت عيناهُ بزيارة القبر ولكن عند الفحص وُجِد انهُ كان يستعمل علاجًا لعينيهِ ومع ذلك لم يبرأ من مرضهِ بالكلية. ومنها ان قسًّا كانت احدى رجليهِ اقصر من الاخرى فتوهم ان رجلهُ القصيرة استطالت شيئًا ولكن عند التحقيق وُجِد انها لم يحدث فيها شيءٌ من الزيادة. ومنها ان امراةً كانت احدى

وجليها ايضاً فصيرة كانت ترقص على القبر كل يوم لكي تاتيها زيادةٌ في الرجل القصيرة فتوهمت انها قد حصلت على ذلك ولكن عند التحقيق وُجِد انها لم تزل كما كانت. وبالاختصار نقول ان عدد الذين انتفعوا بزيارة ذلك القبر لم يبلغ عشرة انفار وجميعهم كان لانتفاعهم اسبابٌ طبيعية وبعضهم لم يبلغوا تمام الشفاء

ثانياً للحكم بين صحيح المعجزات وفاسدها مبدأٌ اخر وهو انهُ يمكننا ان نلحق شهادة المعجزات الصحيحة الى نفس زمان وقوعها واما اخبار المعجزات الكاذبة فتقوم بعد الزمان الذي وقعت فيهِ بزعم من يخبر عنها. كما صار في قضية ابولونيوس وغيرها كثيراً

ثالثاً ان المعجزات الصحيحة تُعرَف بظهور خبرها والتصديق بها اولاً في المكان الذي وقعت بهِ وبين القوم الذين حدثت بينهم. وصحة ذلك في المعجزات المذكورة في الكتاب المقدس صريحةٌ لاتحتاج الى برهانٍ بخلاف معجزات كثيرة تقع تحت الريب لانهُ أُخبِر بها اولاً وصدَّقها قومٌ في مكان بعيدٍ عن المكان الذي زعم المخبر انها وقعت فيهِ. ومن ذلك المعجزات التي نسبت الى فرنسيس زافير مثلاً. فانهُ في جميع رسايلهِ لما كان رسولاً في المشرق لم يذكر شيئاً من صنيع المعجزات. واحد المصنفين المشهورين الذي اخبر عن انعاب حيوتهِ بعد موتهِ باربعين سنة

لم يذكر انهُ كان يصنع المعجزات بل اقرَّ انهُ لم تُصنع معجزاتٌ بين الهنود. وقيل ان هذه المعجزات صُنِعَت في اقاصي الهند وبابان ولكن انتشر خبرها اولاً في اوروبا. وكذلك اكثر المعجزات الكاذبة فان تاريخها يُكتَب بعد الزمان الذي قيل انها صُنِعَت فيهِ بمدَّة طويلة وكثيرًا يشتهر خبرها اولاً في بلادٍ بعيدة عن الامكنة التي يزعم انها وقعت فيها. فتكون في الحقيقة ناتجةً من اختراع الخبثاء الماكرين

رابعًا انهُ في الحكم على صحة المعجزات يجب ان يُسأل عنها هل فُحِصَت في وقتها بالتدقيق ام تُرِكت بغير فحص. لانهُ اذا كانت المعجزات المُخبَر بها موافقةً لاغراض الذين صُنِعت امامهم او لاهواء ذوي السلطة الذين يستطيعون ان يمنعوا كل فحصٍ ويوجِّهون الاخبار حيثما يريدون ولذلك لم يحصل الفحص في صحتها فهي تحت ريبٍ عظيم. واما ما حصل من الشفاء على قبر القس باريز فلم تكن هذه ظروفهُ. لان الجنسانيين الذين كان المذكور من مذهبهم لم يكونوا وقتئذٍ اصحاب السلطة فكان لاعدائهم فرصةٌ لفحص القضايا بكل جهدٍ. ولذلك لنا الان اخبار حقيقية عن هذه الوقايع. ولكن في الغالب كانت المعجزات التي يخبرون بها تُصنَع حينما لم تكن فرصةٌ للفحص عنها او اراد الحاضرون التمسك بتعاليمهم المحبوبة عندهم او حينما كان لذوي الشوكة غايةٌ في ذلك

الفصل الثالث عشر

في ان الكتاب المقدس يتضمن بينات داخليّة تدل على انهُ من الله

ان كانت التعاليم الموجودة في الكتاب المقدس من الله فلا بد من وجود صورة صفاته الطاهرة فيها . وان كان الوصول الى كشف تلك الصورة ممكنًا فلا ريب في انها تكون من اعظم البينات واقنعها على ان الكتاب كتابهُ . فهذه البينة الداخلية هي السند الذي قد اعتمد عليهِ جمهور المسيحيين في كل عصرٍ من غير ان ياخذوها على سبيل البرهان المنطقي . اذ لا يستطيعون ان يدركوا قوة البينات الخارجية لان ذلك يحتاج من العلم الى ما ليس اكثر الناس حاصلين عليهِ . واما البينات الداخلية ففي امكانهم اذ تؤثّر في عقولهم كلما قرأوا او سمعوا شيئًا من كتاب الله . فلا يكون اعتقاد المسيحيين الامّيين اذًا راسخًا على التسليم الاعمى الى ما تعلموه في سنّ الحداثة بل هو راسخٌ على احسن البينات وافضلها . وان قلنا على ايّ البينات يتوقف الايمان الذي يُنسَب اليهِ تطهير القلب وخلاص النفس فيكون الجواب ان ذلك يتوقف على البينات الداخلية لا كما يُتصوَّر بمجرّد العقل بل كما

يدركهُ الايمان بتنوير الروح القدس . ولاجل ذلك نحسب هذا النوع من البينات انفع ما يكون من هذا القبيل للمسيحيين الحقيقيين . ولو رضي الكافرون ايضًا بان يلتفتوا اليهِ طالبين الحق من غير انحرافٍ لربما كانوا يشعرون بتاثيرهِ ويقتنعون بصدق الديانة المسيحية . واما الوقوف جيدًا على بينات كتاب الله الداخلية فلا يتيسَّر الا بمطالعة الكتاب المقدس عن رغبةٍ وقَادة . وهي لا تنتظم على صورة برهانٍ منطقيٍّ بل تقوم باصلاح الحق وجمالهِ الادبي وبمطابقتهِ للعقل البشري وبقوته العجيبة في دخوله الى القلب وفحصهِ وتاثيرهِ في الضمير . وكذلك توجد في تعاليم كتاب الله واوامرهِ طهارةٌ فائقة وروح عبادةٍ سماوي وقوة مقدِّسة وتعزيةٌ للقلب الحزين لا يمكن الا ان يشعر بها كل من يقراهُ بالوقار . فجميع هذه الاوصاف قد يتصورها العقل ويشعر بتاثيرها مع انه لا يمكن جمعها وتقديمها على صورة البرهان بكل قوتها . ولكن هذه بينات وان كانت لا تظهر بكل قوتها الا للذين يطالعون كتاب الله ويتاملون في حقايقهِ نهارًا وليلاً يمكن ان نختار منها بعض قضايا اصلية ونقدمها للقاري على طريقةٍ مفيدة . وذلك هو المقصود مما نذكرهُ بالاختصار من الكلام الذي كان يمكننا ان نطيلهُ بكل سهولةٍ

وبما ان العهد القديم والعهد الجديد مرتبطان ببعضهما كل الارتباط وهما اجزاء كتابٍ واحدٍ لا حاجة الى تمييز بينهما في ما

باقي من الكلام على هذا القسم من البينات على الوحي الالهي

فنقول اولاً ان الكتب المقدسة تعبّر عن الله وصفاتهِ بطريقةٍ توافق ما كان ينتظرهُ العقل السليم في الوحي من الله. فيُوصَف الله فيها دائمًا بالوحدة والكمالات الغير المحدودة مثل الازلية والقدرة على كل شيء والعلم بكل شيء والحضور في كل مكانٍ وعدم التغير الى غير ذلك. وهذه المعرفة بالله كان يعتقد بها الذين وُجِد عندهم كتاب الله مع ان جميع القبايل الاخرى كانت منورطة في الاعتقاد بآلهةٍ كثيرة والعبادة الوثنية الدنسة. نعم ان بعض القبايل كانت اشدَّ من الاسرائيليين باسًا واكثر منهم علمًا بالامور الدنيوية ولكنهم في معرفة الله كانوا في ظلامٍ حالكٍ اذ كان بنو اسرائيل يتمتعون بنور الحق. وقد قام فلاسفة محققون في ممالك مختلفة واشتهروا بين الناس لاجل مذاهبهم ولكنهم لم يستطيعوا ان يُصلِحوا اعتقاد الجمهور بل كانوا هم انفسهم لا يزالون تايهين في الظلام

ان من عادة الكافرين ان يهزأوا بكتاب الله ولكن لولا ذلك الكتاب لما وجد على وجه الارض اعتقادٌ صحيح بالله. ولا يوجد الان انسانٌ يعتقد بالهٍ غير محدودٍ في كمالهِ الا وتتصل معرفتهُ بهذه الحقيقة الى كتاب الله بواسطةٍ من الوسايط. فما السبب في ان المعرفة الصحيحة بالله قد وُجِدت مقترنة بالكتاب المقدس في كل عصرٍ وهي مفقودةٌ في غيرهِ الا ان هذا كتابٌ

من الله. لانهُ لوكانت معرفة الاله الحقيقي التي يتضمنها هذا الكتاب تستفاد من اكتشاف العقل فلماذا لم تصل القبايل التي فاقت اليهود في العلم والتهذيب الى معرفة هذه الحقيقة الضرورية

نعم ان الكتب المقدسة في اماكن تعبّر عن الله كمن لهُ اعضاءَ جسدية وطباع بشرية. ولكن بعد نظرٍ قليلٍ يرى القاري المنبه ان جميع هذه العبارات قد استُعمِلت تشبيهًا بما اصطلح عليهِ الناس من الكلام. وذلك لان كلام الناس غير كافٍ للتعبير عن صفات الله الذي يفوق ادراكنا بما لا يُحَدُّ في ذاتهِ وفي كيفيَّة وجودهِ وعملهِ فلا نقدر ان نصل الى تصوراتٍ صحيحة في ذلك الا على سبيل التقريب. وعند ما نتكلم عنهُ نحتاج ان نتصور صفاتهِ الكاملة شبيهةً بما في العقل البشري وان نستعمل كلامًا يُعبَّر بهِ عن الاعمال والحاسيات البشرية لان غير ذلك لا يكون مفهومًا. ثم ان الاحتياج الى هذا التشبيه اشدُّ مما يظنُّ كثيرٌ من الناس فلا يُحتاج اليها من جهة الكلام الذي اذا أُخِذ حرفيًّا يتضمن تصوُّر اعضاءَ جسدية وطباعٍ بشرية فقط بل ايضًا من جهة الكلام الذي يُعبَّر بهِ عن اعمال الارادة والعقل. ولذلك يكون اسلوب الكلام هذا برهانًا على حكمة الله الذي خاطب الانسان بالطريقة الوحيدة التي يستطيع ان يفهمها لا اعتراضًا على كتاب الله

ثم ان كل ناظرٍ الى كتاب الله يرى ان الحقايق الموجودة فيهِ لم توضع مرتبة على طريقةٍ علمية. فلا نجد فيهِ شيئًا من المباحث العويصة في المبادي الفلسفية ولا من التفنُّن باساليب الكلام المنطقية ولا من الانتظام على هيئةٍ صناعية. وقد يكون في كل ذلك حكمةٌ عظيمة. ولكن ان راينا السبب فيه او لم نرَهُ فالاعتراض على الوحي من هذا القبيل ليس باعظم مما لو اعتُرِض على العالَم الطبيعي من حيث عدم وجود الاخشاب والحجارة مبنيةً بيوتًا مُعَدَّةً للسكنى او من حيث عدم وضع اشجار الحقول والغابات على هيئة بستانٍ مرتب

والكلام فيهِ عن الله انما هو على طريقة بسيطة مع سمو بالغ. فانه ربما تكون الالفاظ في ذلك قليلةً ولكنها تكون ذات معانٍ عظيمة. فلما اراد موسى ان يعرف اسمًا لايقًا بذكرهُ لفرعون امرهُ الله ان يقول اكون الذي اكون ارسلني اليك. ولما أُعلِن لموسى اسم العليّ مرةً اخرى كان ذلك بهذه الكلمات الشهيرة الرب الرب الهٌ رحيم جواد طويل الروح كثير الصلاح والحق يحفظ الرحمة لالوف ويغفر الاثم والمعصية والخطية ولا يزكّي المذنب. فان كانت البساطة التامة المقرونة بالبلاغة الكلية برهانًا على ان الذين كتبوا هذه الكتب كانوا ملهمين من الله يمكننا ان نأتي بكثيرٍ من الايات على هذه الصفة. ولكننا لا نريد ان ننسب الى البرهان من هذه الجهة قوةً اكثر مما يستحق

واما قخر كتاب الله فهو في ما وُجِد فيهِ من اظهار صفات الله الادبية. فان هذه لا تظهر من اعمال الخليقة الا قليلاً ولكن في الكتب المقدسة نورها ساطعٌ كالشمس. ولا يسعنا الكلام في هذا المختصر ان نتوسَّع في هذه القضية فنقتصر على ذكر ما فيها من قداسة الله وجودته

وهاتان الصفتان ظاهرتان في صحايف كتاب الله وهما اعظم ما يمتاز بهِ عن غيرهِ. ولا فرق بين ان نعتبر كل واحدةٍ قايمةً بنفسها وبين ان نعتبرها صفةً واحدة تظهر على كيفيتين. فمن يقدر ان ينظر في هذا الكتاب الطاهر ولا يرى ان الاله المذكور فيهِ الهٌ قدوسٌ. لان كل شرايعهِ ورسومهِ واعماله مقدسة حتى ان فرايضه الطقسية ايضاً كانت موصوفة بذلك. فكل ما اشتغل بعبادتهِ في تلك الطقوس من انسانٍ او بناءٍ او اناءٍ فلا بد من افرازهِ لتلك الغاية. وكل من تقدم الى الله فعليهِ ان يتقدم بالحذر والمهابة لانهُ سبحانهُ قدوسٌ. بل قد تقدست كل ارضٍ داسها لما اظهر نفسهُ. وطُلِبت من عبادهِ كل اشارةٍ خارجية الى المهابة الكلية في وقت العبادة. وعند ما أظهَر نفسهُ على اجلى منوالٍ كان اصلح الناس يخجلون ويصيرون كالاموات من اشعارهم بفساد طبيعتهم. والظاهر ان الجنود السمويين الخالين من كل دنس الخطية يذهلون ايضاً من قداسة الله. فلا يصرخ بعضهم لبعضٍ فقط حينما يسجدون حول عرشه العلي

ويقولون قدوس قدوس قدوس بل يخرُّون سجودًا امامه ويستترون وجوههم من فرط المهابة. وجميع عبارات الكتاب التي ذُكِر فيها غضب الله ورجزهُ وسخطهُ وغيرتهُ انما هي دلايل واضحة على قداستهِ الغير المتناهية. وجميع احكامهِ وتهدُّداتهِ الصارمة والعقاب الذي يعاقب بهِ خلقهُ في هذا العالم وفي الاخرة وعلى الخصوص آلام المسيح الشديدة العظيمة انما تدلُّ على قداسة الله

فوجود جميع ذلك في الكتاب المقدس يدلُّ قطعًا على انهُ كتاب الله. لانه ان كان يوجد الهٌ فلا بد من كونهِ قدوسًا وان اعلن الاله نفسهُ فلا بد ان تكون قداستهُ ظاهرةً في ذلك الاعلان. ولكنه ليس من شيمة المزورين الاشرار ان يهتمُّوا باشهار مثل هذه الصفة بل باخفايها عن الناس بالكلية. ولا شيء اوضح لمن يتامل الطبيعة البشرية بانتباهٍ من ان الناس طبعًا لا يحبُّون القداسة مع انهم يلتزمون ان يعترفوا بفضلها. وربما كان هذا هو السبب في ان اهل العالم يهملون الكتب المقدسة او بالحري يتجنبونها مع انها في لغاتها التي أُنزلت فيها تتضمن من الكلام افضل واسمى ما يشعر بهِ الذوق السليم. حتى لو وُجِد جزء من كتابٍ اخر قديم كُتِب في زمان الكتب المقدسة لكان يطلبهُ بالرغبة الشديدة كل من كان من اهل الادب ولا سيما اذا كان فيهِ شيء مثل ما في هذا من صناعة الانشاء. وقد كنت اجهل

السبب في ذلك حتى اقتنعت الان بانه ليس الا قداسة الله العظيمة الموجودة في الكتاب المقدس والظاهرة في كل صحيفةٍ منهُ. فانها تضرب في ضمير الانسان الغير الطاهر كما يضرب شعاع شمس الظهيرة في الاعين السقيمة. وعلى ذلك قولهُ تعالى ان الله نارٌ آكلة. فيكون اهمال الكتاب المقدس من اهل الدنيا برهانًا قاطعًا على انهُ من الله. لان المسئلة التي نحن في صَدَدها هي ان الذين كتبوا هذا الكتاب هل كانوا ابرارًا موحى اليهم من الله ام اشرارًا مزورين. والذي ذكرناه من امارات القداسة الموجودة فيه يوافق كونهم اصحاب وحي وينافي كونهم اصحاب تزوير بل يوجب الاقرار بان المزوّرين لا يمكن ان يكتبوا كتابًا تكون القداسة اخصَّ ما يمتاز بهِ كما قد وجدناها في الكتاب المقدس

كذلك تذكر الكتب المقدسة جودة الله على اوجه كثيرة. منها ما يبديه الى خلقهِ من عنايتهِ بحفظ جمعٍ غفيرٍ هكذا من الحيوانات واشباعهم كل يومٍ طعامًا وعلى الخصوص الى الجنس البشري. والذي ورد في الكتب المقدسة من التسبيح لله على جودة عنايتهِ العظيمة كما في المزمور ٣٢ و١٠٣ و١٤٤ و١٤٦ و١٤٧ هو من اجل واسمى ما يوجد من انواع الانشاء

وللجودة الالهية المذكورة في الكتب المقدسة وجهٌ اخر يُعرَف بالرحمة. وهي محبته للذين لا يستحقون شيئًا من الخير

واعطاؤهُ المغفرة والخلاص للذين حكمت عليهم شريعتهُ العادلة بالموت . وذلك على طريقةٍ لم يكن سبحانهُ بها اقلَّ غضبًا على خطاياهم مما كان لو عاقبهم الى الابد . فهذا نوعٌ من الجودة الالهية مختصٌّ بالكتاب المقدس ولم يكن العقل وحدهُ يستطيع ان يتصور شيئًا منهُ . بل هو صفةٌ من الصفات الالهية لم تُعرَف الا بالوحي . فبالحق يقال ان اخصَّ اغراض الكتاب هو اعلان رحمة الله . ومعرفتنا بهذه الجودة الالهية تكون قاصرةً جدًّا الى ان نقف على طريقة ظهورها . وذلك لا يوجد كلامٌ يُعبَّر بهِ عنهُ احسن من قول المسيح هكذا احبَّ الله العالم حتى بذل ابنهُ الوحيد لكيلا يهلك كل من يومن بهِ بل ينال الحيوة الابدية

واما هذه المحبة فربما تكون غرابتها لكثيرين سببًا لاعتراضٍ على صحة الكتاب لا برهانًا على صحتهِ . ولو كانت غرابة الامور وعجايبها برهانًا على عدم وجودها لسلَّمنا بان هذا الوهم لهُ اصلٌ . ولكن ما هو الامر الذي ليس مملوًّا من العجايب اذا تاملناهُ بانتباهٍ . فان وجود مخلوق مثل الانسان او جرم مثل الشمس امرٌ عجيبٌ ولكن هل ننكر وجودها لذلك . وما الذي في صفات الله واعمالهِ لا يملأُ العقل اندهاشًا وعجبًا . فان ازليَّتهُ وعلمهُ بكل شيء وحضورهُ في كل مكانٍ وقدرتهُ الخالقة وعنايتهُ الشاملة كل ذلك عجيبٌ بحيث لا ندري اي شيء منهُ هو الاعجب ولا نعرف هل يمكن وجود شيء اعجب من هذه البدايع .

ولكن هل يكون ذلك برهانًا على عدم وجودها . واذا كان الله تجيبًا بهذا المقدار في سايرِ صفاتهِ فهل ننتظران لا نجد شيئًا من ذلك في جودتهِ وهي اعظم الجميع . نعم لا يوجد شيءٌ من هذه الجودة بين الناس ولكن هل نجعل ظلَّ الكمال الضعيف المحدود الذي فينا مقياسًا نحكم بهِ على صفات الله الغير المحدودة .

والاعتراض المبني على كون الانسان حقيرًا بحيث لا يستحق هذه المحبة العظيمة هو ايضًا باطلٌ . لانهُ مهما ارتقت قوى المخلوق لا يزال حقيرًا بالنسبة الى الله الغير المتناهية صفاته لان جميع المخلوقات امامهُ على حدٍّ سوى . ومن هذه الجهة كانهُ يتلاشى جميع ما يمتاز بهِ بعضها من بعض . فعلى مبادي هذا الاعتراض ما اسهل قيام البرهان على عدم صحة عناية الله . لانهُ لا يخفى انهُ يوجد الوف الوف من حيوانات حقيرة لا تراها العين بدون واسطةٍ وهي كاملة التركيب ولا تبقى في الوجود الا اياماً بل ساعات قليلة . فقد يقول عنها المعترض انها لصغرها لا تستحق العناية من الخالق الغير المتناهي وان اظهار مثل هذه الحذاقة في تركيب حيوانٍ عمرهُ يومٌ واحد لا يوافق حكمة الله . فمهما كان ظاهر هذه الاعتراضات حسنًا لا تخرج عن كونها مبنيةً على تعرُّضٍ لما لا يعنينا ولا نقدر ان نحكم عليهِ بالصواب . فان الانسان لا نهاية لدرجات ما دونه من انواع الحيوانات كما لا نهاية لما فوقه من درجات المخلوقات . وذلك على ان درجات المخلوقات ليست

غير متناهية على الاطلاق بل اننا لا نستطيع ان نجد حدًّا لوجود حيوانات تتصاغر عن بعضها على الاستمرار كما اننا لا نعرف حدًّا لوجود مخلوقاتٍ تتزايد على بعضها في المقدار. فانهُ من حيث ان نقطةً من السايلات تتضمن ما لا يُحصَى من الحيوانات التامة التركيب من يقدر ان يقول ان كل جزء من دم هذه الحيوانات التي لا تدركها ابصارنا بدون نظارة لا يتضمن ما لا يُحصَى من حيوانات ادقّ واصغر منها الى ما لا نعرف حدًّا لهُ

والحاصل انه ما لم يُبيَّن انهُ يستحيل وجود مثل المحبة التي اظهرها الله في الانجيل او ان مثل هذه المحبة مغايرٌ لصفات الله الادبية لا يصح ان توخذ غرابتها برهانًا على عدم وجودها بل الذي يقتضيهِ العقل ان الامر كما كان اعجب كان الاولى بهِ ان يكون من الله ويُستبعَد ان يكون من استنباط الانسان ما لم يصحبهُ شيءٌ من الضعف البشري

وقد خطر لي هنا نظرٌ يزيدنا معرفةً في هذا الموضوع وهو ان العجب طبيعيٌّ في عقولنا. فلا يسرُّ الانسان شيءٌ من الاحساسات النفيسة اكثر من التامل في الامور السامية المتَّسعة بحيث تكون غير مدركة اصلاً. وهذا هو اساس تلك العبادة الدايمة التي تشغل اهل السماء. فان الهًا غير مُدرَكٍ لا بد ان يكون موضوع التامل والعجب لكل مخلوقٍ

ثانيًا ان الخبر الموجود في الكتاب المقدس عن اصل

الانسان وصفاته يوافق العقل والاختبار كل الموافقة . بل الكتاب المقدس هو وحدهُ مصدر معرفتنا باحوال الانسان لما خرج اولاً من يد خالقهِ . ومنهُ نتعلم اصل امور كثيرة لم يكن ممكنًا ان نكتشف السبب فيها الاَّ منه . فيعلّمنا كتاب الله مثلاً ان الشر الذي وُجِد في كل زمانٍ وبين كل قومٍ كان من سقوط الانسان الاول . ويخبرنا عن السبب في لباس الجسد اثوابًا وهي عادة كل القبايل مع ان بعضها لاتحتاج الى ذلك لحفظ الجسد من اضرار البرد . ومنهُ نعلم السبب في اخراج الارض شوكًا وحسكًا من طبعها مع انهُ لابد من حرثها لانتاج الحبوب والاثمار النافعة . ومنه نتعلم اصل الزواج واللعنة التي حلَّت على جنس النساء في كل زمانٍ . وقد اخبرنا موسى ايضًا عن اصل ذلك النوع من العبادة الذي مارستهُ قديمًا كل القبايل والذي لايفيدنا العقل شيئًا عن سببه وهو ذبح الحيوانات على المذابح وتقدمة الحَبّ والبخور الى غير ذلك . وقد اخبرنا ايضًا عن الطوفان العام الذي لنا عليهِ شواهد كثيرة نعاينها في كل ارض وجبلٍ ونسمع عنه كثيرًا من التقاليد القديمة

وقد ذُكِر ايضًا في الكتاب المقدس تشتُّت الجنس البشري على وجه الارض واصل كثير من القبايل القديمة . ومع ان اكثر هذا الخبر موجودٌ في فصلٍ واحدٍ صغير قال احد الفضلاء انهُ لو لم يكن لنا بيّنةٌ على صحة كتب موسى الخمسة الاَّ الاصحاح العاشر

من سفر التكوين الذي ذُكِر فيهِ هذا الخبر لكان يحسبه بيّنةً كافية

ويوجد ايضاً فيهِ خبرٌ عن اصل اختلاف اللغات ولا يوجد ذلك في غيرهِ . بل ان اصل اللغة الاولى الذي كان سبباً لمناظراتٍ كثيرة بين الفلاسفة هو ايضاً ظاهرٌ جلياً من كتب موسى . وقد ذهب كثيرٌ من المحققين الى ان الكتابة باحرف الهجآء استفيدت من العشر وصايا التي كتبها الله باصبعهِ على اللوحين الحجريين . وعلى ما ارى ان البرهان بواسطة حججٍ صحيحة على ان صناعة الكتابة باحرف الهجآء كانت موجودةً قبل ذلك امرٌ صعبٌ جدًّا . وعلى كل حال يلزم الاقرار بان اقدم ما يوجد من هذا النوع من الكتابة باقيًا الى الان هو الموجود في الكتاب المقدس

وفيهِ ايضاً اخبارٌ عن القبايل والشعوب الذين ذكرهم اقدم المورخين الغير الملهمين من روح الله بزمان طويل قبل ابتدآء تواريخهم . وحين تصل اخبار الكتاب المقدس الى الزمان الذي يخبر فيهِ مورخون اخرون عن احوال القبايل تشهد اخبارهم لصحة اخباره . وتعيننا ايضاً اخبار الكتاب المقدس على فهم امور كثيرة كتبها هولآء المورخون بالاختصار

واما الخبر الموجود في الكتاب المقدس عن حالة الانسان الادبية فهو اكثر موافقةً لما نحن في صددهِ . فيعلّمنا ان الجنس البشري في كل الازمنة والاحوال فاسدٌ رديٌّ في الغاية .

ويصرح بان كل انسان خاطئ وان اصل هذا الفساد في القلب. ويعدُّ كثيرًا من الذنوب الفاحشة التي يميل اليها الجميع ويرتكبها كثيرون. وحيث تُجتنَب هذه الرذايل او تُخفَى يصف قلب الانسان بالمكر والخبث الجسيم. ويُنادي بان الكبرياء والرياء اللذين يطرحان برقعًا غاشًّا على سجايا الانسان الحقيقية هما من ابغض الاشياء عند الله. فالان لو كان هذا الوصف يناقض سيرة الانسان بالتمام او كانت صفاتهُ مختلفة جدًّا عما وصفهُ بهِ الكتاب او كان في هذا الوصف مبالغة لكان هذا الاختلاف برهانًا عظيمًا على عدم القاء الوحي الى الذين كتبوا الاسفار الموجودة في الكتاب المقدس. ولكن اذا كانت صفات الانسان المذكورة في الكتاب طبق ما نعهدهُ بالاختبار والملاحظة العامة يكون ذلك برهانًا قاطعًا على ان الصدق الكامل كان هو الذي لاحظه الذين كتبوا الكتاب

انه بحسب ارادة الاختصار لا يمكننا ان نطيل الكلام في هذا الموضوع فنرفع دعوى صحة ما ذُكِر في الكتاب من هذا القبيل الى اخبار التواريخ الصحيحة والى ملاحظة كل انسان وبصيرتهِ في احوال الدنيا. ونقول ان كلام بولس الرسول في رذايل الوثنيين مثبتةٌ من اقوال المورخين الذين وُجِدوا في ذلك الزمان. ومن هو الذي لا يعرف ان كل ما وُضِع من احكام السياسة وكل ما جُعِل لها من الرسوم التي يلزم لقيامها نفقاتٌ

جزيلة انما وُضع لكي يكون مانعًا للتعدي والظلم والفواحش التي تقع من الانسان. بل ان الحكومة السياسية نفسها لم تقم الاَّ لدفع شرّ الانسان. نعم ان هذه النتيجة محزنة والكبرياء ربما تصدُّنا عن التسليم بها ولكن اذا جرَّدنا انفسنا عن التعصب فلا بد ان نعترف انها صحيحة فيكون الكتاب قد وصف الطبيعة البشرية كما هي بالحقيقة

ولكلمة الله تأثير عجيب في ضمائر الناس ربما يجهله الذين لم يقرأوا او يسمعوها. لكن عند الذين وقفوا عليها جيدًا او تعوَّدوا ان يسمعوا الانذار بها ظاهرٌ ان لهذا الكتاب اكثر من غيرهِ قوةً على الدخول الى النفس والبلوغ الى اعماق الضمير واشعار الانسان بشرور قلبهِ ونقايص حيوتهِ. نعم ان بعض الناس ينسب ذلك الى فعل التعليم في سنّ الحداثة. ولكن لو اختبرنا الامر جيدًا لوجدنا ان الذين تربَّوا من غير ان يكون لهم شيء من ذلك التعليم يشعرون عند ما يكبرون بتاثيرهِ في ضمائرهم. ولهذا تكون قرآءة الكتاب المقدس بالوقار انفع علاجٍ للكفر. وعلى ذلك قول النبي دخول كلمتك يعطي نورًا وكذلك قولهُ شريعة الرب كاملة تهدي النفس

ثالثًا يجب النظر الخصوصي الى كون الكتاب المقدس يتضمن اخبارًا صريحةً عن القضايا التي الانسان في اشد الاحتياج الى معرفتها. وهي تنقسم الى ثلثة اركان. اولها المجازاة

في الاخرة على اعمالنا في الدنيا . والثاني التأكيد بان للخطية مغفرة وتعيين طريقة مناسبة لمحوها . والثالث الوسايط لترجيع طبيعة الانسان الفاسدة الى حال الصلاح . نعم انهُ لايمكننا ان نعيّن ما يجب ان يتضمنهُ الوحي من التعليم كما تقدم الكلام . ولكنهُ يوافق العقل انه اذا انزل الله وحيًا يوجد فيهِ شيء من التعليم عن هذه القضايا الجوهرية . وعند ما نبحث عمَّا يعلّم بهِ الكتاب المقدس من هذه القضايا نجد ان ذلك يليق بصفات الله ويناسب احتياجات الانسان بحيث يكون برهانًا عظيمًا على حقيقة انزالهِ من الله

فمن اظهر ما يعلّم بهِ العهد الجديد تحقيق وجود الانسان بعد الموت . فانهُ يبيّن بكل صراحةٍ ما بين حالتنا الحاضرة وحالتنا المستقبلة من التعلق ويذكر كثيرًا من الحقايق النافعة الضرورية المتعلقة بالاخرة على احسن ما يكون من الطرق للتاثير في العقل . فقد أُعلِن فيهِ ان ستكون دينونةٌ تعمُّ جميع الناس وان الله قد جعل يومًا لهذا العمل العظيم . وقيل ايضًا في العهد الجديد ليس فقط ان كل انسانٍ يدان بل ان كل عمل من اعمال كل انسانٍ خيرًا كان او شرًّا يدخل تحت الحساب وبموجب تحقيق هذا الحكم الصارم يتعيَّن نصيب كل انسانٍ الى الابد . فيُؤخَذ البعض الى الحيوة الابدية في النعيم ويُطرَح الاخرون الى الشقاء الابدي في المكان المُعَدّ لابليس وجنودهِ

وقد أُعلِن في العهد الجديد ايضًا امرٌ اخر عظيم وهو قيامةٌ عامة لاجساد جميع الناس قبل الدينونة الاخيرة. وذلك مما لايستطيع العقل ان يكشفهُ اصلاً لكنهُ من نفس الامر ضرورةً لاياتي الانسان الا من الوحي. نعم يمكننا ان نكشف مشابهةً ضعيفةً للقيامة في ما يشبه الموت في النباتات وبعض الحيوانات ورجوعها بعد ذلك الى الحيوة. لكن لاينتج من ذلك ان اجساد الناس بعد ما تمتزج بتراب الارض تتركب ثانية وتجمعُها تلك الانفس التي كانت متعلقة بها قبل موتها. وهذا التعليم مفيدٌ جدًّا ومن الضرورة ان يكون مسرًّا ومبهجًا لكل انسانٍ تقيٍّ كما نتعلم من الكلام الحسن الذي وصف بهِ القيامة بولس الرسول بقولهِ كذلك قيامة الموتى ايضًا يُزرَعون بالفساد ويقومون بغير فساد. يزرعون بالهوان ويقومون بالمجد يزرعون بالضعف ويقومون بالقوة يُزرَع جسد حيواني ويقوم جسد روحاني فانهُ ينبغي لهذا الفاسد ان يلبس ما لايفسد ولهذا المايت ان يلبس عدم الموت

وانهُ لامرٌ يستحق الاعتبار ان الكتب المقدسة وان كانت تصف نعيم السماء وشقاء جهنم بابلغ ما يكون من الاستعارات لا تستوفي وصف ذلك بالتفصيل. وفي هذا السكوت حكمةٌ عظيمة لانهُ امرٌ لايمكننا ان نتصورهُ جليًّا ونحن في حالتنا الحاضرة

واما طريقة الحصول على مغفرة الخطية المعلنة في كتاب الله فغريبةٌ جدًّا ومع ذلك تصح مغفرة الخطية بها ويكون الله عادلاً

قدوسًا بحيث تخرج من دائرة اكتشاف البشر. فان رسالة شخصٍ من السماء يقال لهُ ابن الله واتخاذهُ الطبيعة البشرية على نوعٍ عجيب وسيرتهُ الطاهرة المملوة من عمل الخير وموتهُ باختيارهِ كفَّارةً عن خطايا الناس انما هي حوادث عجيبة ومن هذه الحيثية ذاتها لا يحتمل ان تكون من استنباط اهل المكر. فان موت المسيح هو مركز الديانة المسيحية وهذا الموت لم يكن امرًا عارضًا او واقعًا بحسب طور الطبيعة الاعتيادي بل يشار اليهِ في جميع الكتاب كالغرض المقصود في مجيء المسيح الى هذا العالم. وهذا هو الواسطة بحسب قول الانجيل لتحصيل جميع البركات من اجل الخطاة. فانهُ ذبيحةٌ مقدمةٌ لله عن الناس بها يكون الله عادلاً ويبرر كل الذين يومنون بيسوع المسيح. فمن عرف المسيح مصلوبًا فقد عرف الانجيل اجمع ومن انذر بالمسيح فقد انذر بالانجيل كلهِ لان جميع تعاليمهِ داخلةٌ في هذا الامر العظيم. فان طريق الخلاص المعلنة في الكتاب مبنيَّةٌ على هذا المبدأ وهو ان المسيء اليهِ يقبل كفَّارةً عما اساء بهِ المذنب من اخر يستطيع ان يؤدي للشريعة ما تطلبهُ من المذنب. وقد تمَّت هذه الكفَّارة بواسطة طاعة المسيح حتى الموت التي يقبلها ديان الجميع عوضًا عن طاعةٍ تامة من الخاطي في جميع من تخصَّصت بهم. وهذه الطريقة للحصول على الغفران تليق بشان الله لانهُ حين يسامح الخاطي يظهر غضبهُ على الخطية بنوعٍ اشد ما يكون ولا يزال

يطلب اجراء شريعتهِ الظاهرة على التمام. وهي مناسبةٌ لحال الانسان لانها تتنازل الى ضعفهِ وشقاوتهِ وتقدم لهُ خلاصًا تامًّا مجانيًّا من غير اعمالٍ او استحقاقٍ منهُ. ولكيلا يتجاسر الانسان على ارتكاب الخطية مدَّعيًا بان خلاصهُ بواسطة النعمة المجانية قد شرط على كل من يرجو فوايد هذا الفداء ان يقدموا طاعةً صادقة للانجيل وبذلك يظهرون توبتهم عن خطاياهم ومحبتهم للخلاص. نعم ان الخطاة قد يحرّفون هذا التعليم ويحوّلون نعمة الله الى السيئات ولكن ذلك ليس لهُ سند في الانجيل بل هو ناتجٌ من اعوجاج ضمايرِ الخطاة

والامر الثالث من الجوهريات المذكورة آنفًا التي يحتاج الانسان الى معرفتها هو الوسايط التي بها ترجع الطبيعة الفاسدة الى الصلاح. والفلسفة عاجزةٌ من اصلها عن معرفة ذلك بالكلية. ولا عجب في ذلك لان الحكمة البشرية مهما استطاعت ان تفعل من هذا القبيل فانما يكون ضبط وتهذيب مبادي الانسان الاصلية واهوآئهِ الطبيعية. ولكن لا يصدر من جميع ذلك اصلاح حقيقي. بل مهما حصل لا يكون الا انتقالاً من نوع الى اخر من انواع الخطية. فلاجل رجوع النفس الى الاستقامة الادبية رجوعًا حقيقيًّا ولو جزئيًّا يدعو الامر الى ادخال مبدا جديد في الانسان قادرًا على اخراج ما يحركه الى الخطية. لانه من المحال ما يقول بعض الناس ان الرجوع الى الفضيلة قد يصدر عن

العقل. لان مجرّد تصوّر الطريق المستقيم لا ينفع ما لم يوجد ميلٌ الى اتباعهِ. ولا يخفى ان عدم وجود العواطف نحو الفضيلة والقداسة هو الآفة العظمى لطبيعتنا وبها يقوم فسادنا بحسب الاصل. والطريق الوحيد الذي بهِ يُقاد الانسان الى محبة الطاعة لشريعة الله واتباعها انما تتم بغرس المحبة لله وللقداسة في قلبه. ومن حيث ان القدرة البشرية عاجزةٌ عن ذلك وهو عملٌ متوقفٌ على قوةٍ الهية وقدرةٍ خالقة لايكون رجوعٌ حقيقي عن سُبل الخطية الا ما هو صادر من مساعدة الله. نعم قد يكون اصلاحٌ خارجيٌّ وكثيرًا ما يكون ابدالٌ في المبادي التي تحرك الانسان الى الاعمال. فالذي كان في صباهِ يميل كثيرًا الى لذّات الجسد قد يصير في شيخوختهِ عبدًا للبخل او لطلب المجد من الناس. ولكن في جميع ذلك قد حصل التغيير بغلبة مبدأ طبيعي على غيرهِ وتملُّكهِ مكانهُ. والحاصل ان كل ما يحدث من التغيير في صفات الانسان لا يتمّ الا بتحريك او تقوية شيء من المبادي الطبيعية التي تحركه الى العمل او بغرس مبادي جديدة بحيث تغلب على ما كان متسلطاً عليه من قبل

والان فلننظر الى طريقة الاصلاح الموجودة في الكتاب المقدس. فانها مما يطابق هذا المبدا الذي قد وضعناه الان تمام المطابقة. لان العهد القديم والعهد الجديد يعلمان على طرقٍ متنوعة لزوم التجديد بقدرة الله. وذلك ان القوة الالهية تضع في

الانسان قلباً جديداً اي مبادي جديدة تحركه الى الاعمال الادبية التي أخصها محبة الله والناس . فلو نظرنا على طريقة فلسفية الى طبيعة الانسان وما يوجد فيهِ من الحاسيات والاهواء والشهوات والعواطف ثم فرضنا دخول هذا المبدأ الجديد الطاهر الى النفس لرأينا قوى الانسان واهواءهُ قد انتظمت حالاً بحيث لا يتعدى شيء منها حدَّهُ واقتلعت رذايل طبيعتنا . وربما يستهزئ الذين يدَّعون العقل والفلسفة بهذا التعليم على انهُ محالٌ . مع انهُ موافقٌ لاعظم الفلسفة من كل جهةٍ بل هو نفس الامر الذي يحتاجه كل فيلسوفٍ حكيمٍ لو اخذ على نفسهِ انهُ يحل المشكل المذكور اعني كيف يرجع الانسان الفاسد الطبيعة الى الصلاح . ولكن المبدا اللازم لاصلاح الخاطي قد عجز عن معرفتهِ العقل والفلسفة وكتاب الله هو الكتاب الوحيد الذي يعلِّم الطريقة الحقيقية لتطهير النفس من الخطية . انه قد احتال كثيرون من الفلاسفة واصحاب الاديان المختلفة بحِيَلٍ لا تُحصى لعلهم يجدون طريقاً مستقيماً لذلك فلم يجدوا . ومن هذه الحِيَل الاجتهاد في اخراج النفس من تحت طايلة الجسد بطرقٍ متنوعةٍ من التقشف لتعذيبهِ وتطهيرهِ . ولكن هذه الطرق جميعها مبنية على ان الجسد اخصّ ما يوجد فيهِ الفساد وهو مذهبٌ فاسدٌ ولذلك لم ينجحوا البتَّة . لان المرض اعمق مما ظنّوا فلم تصل اليهِ علاجاتهم . واما الانجيل فهو الذي يعلِّم الفلسفة الحقيقيَّة في اصل الخطية

وعلاجها . وبحسب قول كتاب الله جميع الشرور تخرج من القلب . واذا اردنا اصلاح الثمر فعلينا ان نصلح الشجرة اولاً . والاحتياج الى قوة الهية لاصلاح الناس كما يجب لايتعرض لاستعمال الوسايط ولا يُخرِج فعل الاسباب الطبيعية . فعندما يدخل المبدا الجديد الى عقل الانسان تبقى النفس في استعمالها هذا المبدا تحت حكم شرايع العقل والارادة العمومية كما كانت قبلاً . ولا ريب في ان مبدا التقوى مبدا بسيط الى الغاية في فعلهِ . فيحبُّ الانسان التقي الله لعظمتهِ وصلاحهِ في نفسهِ وينفضّل السماء على الارض لشرفها وابديّتها وهكذا يجري في كل ما يشعر بهِ الانسان الذي دخل الى قلبهِ هذا المبدا واصلح طبيعتهُ الفاسدة

ومما يتعلق بهذا الموضوع الرسوم الادبية الموجودة في العهد الجديد . ونخصُّ الكلام بالعهد الجديد لا لانهُ يعلّم رسوماً في الواجبات الادبية غير الرسوم الموجودة في العهد القديم بل لانهُ يعلّم ذلك باجلى بيانٍ . ولا حاجة الى مدح رسوم الانجيل الادبية على وجه العموم لانها قد اغتصبت المدح الجزيل من كثيرين من اشدّ اعداء الديانة المسيحية . ولم يستطع احدٌ ان يرينا شيئاً يجعلها اصلح مما هي في وجه من الوجوه . نعم قد اعتُرِض بان هذه الرسوم لا تناسب الانسان لانها تطلب كمالاً لا يستطيع الانسان ان يصل اليهِ . لكن هذا الاعتراض يُسلّم بالقضية التي نريد اثباتها اعني وجود الكمال المطلق في رسوم

الانجيل الادبية . لاريب في اننا لانحتاج الى برهانٍ يوضح انهُ اذا انزل الله قانونًا لسيرة خليقتهِ فلا بد ان يكون قانونًا تامًّا . ولا يصح ان القانون يتنازل لنقص الخليقة لان ذلك يكون مغايرًا لجميع الشرايع

وقد اعتُرِض ايضًا بانهُ قد تُرِك من وصايا الانجيل كثيرٌ من الفضايل العظيمة التي كان يعترف بفضلها ادباء الوثنيين كمحبة الوطن والمصادقة والشجاعة وما اشبه ذلك . والجواب ان محبة الوطن والمصادقة من حيث هي فضايل ادبية فهي داخلةٌ في وصايا الانجيل العمومية التي تطلب منا محبة الناس وعمل الخير لهم وان نعتبر كل شي حسن وكل امرٍ ممدوح . ولكن عند ما تتعرض محبة الوطن ومصادقة الاحباب للالتزام المطلق بمحبة جميع الناس لاتكون من الفضايل بل من الرذايل

ويظهر فضل رسوم العهد الجديد الادبية اذا لاحظنا هذه الظروف الاتية . اولًا انها بسيطة مع كونها جامعة الى الغاية . فكل الواجبات الادبية التي نعتبرها ملزمةً ترجع في الكتاب المقدس الى مبدأين وهما محبة الله ومحبة الناس . فمقدار الاولى ما تصل اليهِ استطاعتنا ومقدار الثانية ما عندنا من المحبة لانفسنا . وقد قال السيد المسيح انهُ على هذين تتعلق جميع التوراة والانبياء . فالواجبات المتعلقة بضبط الاهواء النفسانية لاتحتاج الى مبدا اخر لان النفس اذا كانت مملوة من المحبة

الاخرين تكون محبة الذات فيها مضبوطةً بحيث تكون موافقةً من كل وجهٍ لتحريكنا الى عمل الواجبات الذاتية

ثانيًا ان وصايا الاداب الموجودة في العهد الجديد مع انهُ يُعبّر عنها بكلامٍ جامع يُصرّح ايضًا فيها مراتٍ كثيرة بتعلقات الانسان الواقعة واحوالهِ المتنوعة . فلم نتركنا نستنتج واجباتٍ خصوصية من مبادىء عمومية بل تجعل واجبات كل واحدٍ بحسب ظروفهِ صريحةً لديهِ . فواجبات الوالدين والاولاد والازواج والزوجات والرعاة والرعايا والموالي والخدم والقسوس والشعب والاغنياء والفقراء والصديق والغريب موضوعةٌ فيهِ باجلي بيانٍ

ثالثًا الواجبات الادبية التي غفل عنها وغلط فيها معلمون اخرون توجد في هذا الكتاب على طريقةٍ واضحة ويؤمَر فيهِ بالعمل بموجبها . فان ادباء الوثنيين مثلاً لم يسلّموا بفضيلة التواضع والوداعة والحلم والصفح عن الذنوب . واما العهد الجديد فهي مامورة فيه صريحًا ويُذكَر فيهِ ان كثيرًا من الصلاح الحقيقي يقوم بممارستها . انهُ في عهد نزول المسيح الى الارض كان الناس يعتقدون بكثيرٍ من القوانين الفاسدة في الاداب . فالذي يجب على الانسان من المحبة لجميع الناس كان محصورًا عندهم في حدود ضيّقة . فكان يجوز عند اليهود مثلاً اخراج الارانقة كالسمرة والخطاة المشهورين كالعشّارين من دايرة المحبة والاحسان .

وهل يجب الخضوع لولايةٍ غريبة استولت عليهم والطاعة للحاكم الرديء الظالم ام لا يجب فقد كان ذلك عندهم مسئلةً تحتاج الى حكمةٍ عظيمة في الحكم بها على الصواب. وكان خلافٌ فيها بين الجمهور حتى ان الجميع اتفقوا على تقديمها الى المسيح لعلها تكون فخًّا يقع فيهِ بحيث يوجب عليهِ حكمهُ سلباً كان ام ايجابًا مقاومة احد الفريقين. فلما سألوهُ هل يجوز دفع الجزية لقيصر ام لا يجوز طلب دينارًا ونظر الى الصورة المرسومة عليهِ وقال لمن هي. فقالوا لقيصر. فاجابهم بهذا الجواب النفيس اعطوا لقيصر ما لقيصر ولله ما لله. فكان حكمه انهم اذ كانوا يرضون ان تجري معاملة قيصر بينهم وذلك علامة تسلطهِ عليهم فلا مانع من اعطآيهم لقيصر ما كان حقًّا لهُ وايضًا لم يكن ذلك مغايرًا لطاعتهم لله. فوبخ في جوابهِ هذا الفريسيين والهيرودبين اذ كان الفريق الاول منهم يتعللون بان واجباتهم لله حجةٌ على امتناعهم عن دفع الجزية لقيصر والفريق الثاني يتغافلون عن واجباتهم لله استعطافًا لقلوب الولاة المتسلطين

وبولس الرسول ايضًا اذ كان تحت ولاية نيرون المشهور بالظلم يامر بالطاعة لارباب الولاية لا خوفًا من غضبهم ولكن لاجل مسالمة الضمير. فهذا هو الضابط العمومي في ما يجب على الانسان في هذه المسئلة العسيرة ولا يمكن ان يكون اصوب منهُ. فان الديانة المسيحية الحقيقية لا تتعرض للاحكام السياسية مهما كانت

ولكنها تناسب الانسان كيفما وجدتهُ في تعلقات هذه الحيوة وتعلّم ما يجب عليهِ. ولهذا لا يمكن ان تكون سببًا للخيانة والعصيان على الاحكام. بل هي تعتبر اهل السياسة كخدّام الله لاجل سلامة الجمهور وحسن نظامهِ ولاجل ردع اصحاب الشرّ والتعدي. وفي ذلك يقول الرسول انهُ يجب على المسيحيين ان يخضعوا للسلاطين العظماء فانهُ ليس سلطانٌ الاَّ من قِبَل الله. والله قد اقام هولاء السلاطين. فمن قاوم السلطان فانما يقاوم الله ويقع في الخسارة لنفسهِ. لان الرؤساء ليسوا خوفًا للاعمال الصالحة بل لاعمال الشر. أتريد ان لا تخاف السلطان فاعمل صلاحًا فيكون لك من عندهِ مدحةٌ. لانهُ خادمٌ لله ولك الى الخير. وان انت عملت سوءًا فخف فانهُ لم يتقلد السيف باطلاً. وانما هو خادم الله منتقمًا بالغضب من الذي يعمل السوء. ولذلك ينبغي ان تخضعوا لهُ ليس من اجل الغضب فقط بل من اجل النية ايضًا. ولاجل هذا تؤدّون الجزية فانهم خدام الله متولّون هذا الامر. فلهذا أدّوا الى كل امرءٍ حقهُ. الى الذي تجب لهُ الجزية جزيتهُ والى من تجب لهُ العشور عشورهُ والى من تجب لهُ الكرامة كرامتهُ (١)

رابعًا ان العهد الجديد ينسب جميع الفضايل الى القلب ولا

(١) رومية ص١٣

يعتبر افضل الهدايا واثمنها او افضل ما يكون من القيام بالواجبات الدينية حينما لاتكون نية القلب في ذلك نقيةً. فقد صُرِّح فيهِ بان اول ميل العقل الى ما حُرِّم انما هو مخالفة الشريعة وبان كلام الشتيمة والكلام الباطل من الخطايا التي لابد من اعطاء الحساب عنها في يوم الدينونة. وقد صُرِّح ايضًا فيهِ بان الصلوة والصدقات التي تصدر عن طلب المجد لا ثواب لها من الله ولو مدحها الناس باحسن المديح. وقيل فيهِ ايضًا ان محبة العالم ومحبة المال من الخطايا الاصلية يتفرع منها كثيرٌ من امثالها. وايضًا ان الكبرياء والانتقام لايمكن اجتماعهما مع النعمة الالهية. واما نقاوة القلب وميله نحو الاشياء السماوية والاتكال على الله والتسليم الى ارادتهِ فيحسبها الانجيل فضايل اصلية

خامسًا ان وصايا العهد الجديد الادبية تمثَّلت في حيوة الرسل والمسيحيين الاولين وعلى الخصوص والى الغاية القصوى في حيوة يسوع المسيح. فلا يمكننا ان نتصور صفاتٍ هي اكمل في الصلاح من الصفات التي ينسبها اصحاب الاناجيل الى واضع الديانة المسيحية. وقد سبق الكلام في ان سيرتهُ التي كانت مشتملة على جميع انواع الفضايل ظاهرةً بين ظروفٍ عسرة لا توافقهُ قد أُخبِر عنها في الاناجيل باخبار بسيطة تخبرنا مجردًا بما قال يسوع وما فعل وما احتمل خالية من التعظيم لهُ ومن تنميق الكلام لاستجلاب المديح اليهِ. فمن هذه الاخبار نعلم انهُ لم يتبع

حزبًا من احزاب اليهود ولم يطلب نظر الغني او الفقير ولم يتمسك بشيء من غلط طايفته وهوى انفسها. لكنهُ اظهر من كلامهِ ان الغايات التي اعتبرها في ما عمل كانت اعظم من التعصب الجنسي. ولم يَخَفْ ان ينسب قداسة الفريسيين الظاهرة الى الرياء وان يحكم على تقاليد الشيوخ انها مغايرةٌ لشريعة الله وعلى اراء الزنادقة المستريبين انها كانت ناشيةً عن الجهل بمعاني الكتاب المقدس الحقيقية

وكان يسوع المسيح دايمًا يحول افكار الذين يسمعون كلامهُ عن الامور الارضية الى الامور السماوية بناء على انها وحدها تستحق اهتمامهم وعنايتهم. ومع انهُ لم يملّق احدًا كان اهتمامهُ متّجهًا على الخصوص نحو الفقراء. فكانت احتياجاتهم الروحية والجسدية تحرك اشدَّ ما يكون من الشفقة في قلبهِ. وكان يخاطبهم بكلامٍ لطيف ينهض عزايمهم. واما قدرتهُ على الشفاء فكان يستعملها نحو كل طالبٍ غنيًّا كان او فقيرًا من غير التفاتٍ الى كونهِ من امتهِ او غريبًا. فكان يتحنن على اليهود والسمرة والوثنيين والعشارين والخطاة. ولم يمنعهُ تعصبٌ مثل ما في الكتبة والفريسيين عن معاشرة التايبين ولو كانوا قبلاً من اشدّ العصاة الادنياء. بل كان يقبل بالشفقة الخطاة التايبين ويعزّيهم بتحقيق المغفرة وكان يسمح لهم ان يدنوا من شخصهِ بعلامات الشكر والمحبة. وكان يرثي لاصحابهِ في احزانهم باكيًا مع الباكين ويقيم

بقوته من المرض او من الموت كثيرين من الاعزّاء عندهم . ومع انهُ كان يوبّخ المصرّين على خطاياهم اشدَّ التوبيخ وكان احيانًا يغضب عليهم كان لا تزال شفقتهُ نحوهم دايمةً . وعند ما فرغ يوم نعمتهم بكى عليهم باشدّ ما يكون من الرقّة القلبية

وكثيرًا كانت تقع المناظرة بين يسوع المسيح وجماعةٍ من العلماء ذوي الخبث والدهاء . فكانوا يتعصبون عليهِ بمكرٍ ويسالونهُ مسايل عسرة طالبين منهُ الجواب حالاً . لكنهُ لم يرتبك مرةً في شيء من المسايل ولم يتحيَّر من مكر اعدايهِ الخبثاء . بل كانت اجوبتهُ سديدةً ومملوةً من الحكمة بحيث ترتبك اخصامهُ غالبًا ويتملى الحاضرون عجبًا ومديحًا

واما امثال المسيح فلا نظير لها في الحسن والاصابة . فانها تتضمن كثيرًا من الحقايق الجوهرية وكانت شديدة المناسبة للموضوع ولواقعة الحال حتى ان الذين قصد توبيخهم بها التزموا كثيرًا ان يقرُّوا بصحتها . وفيها يوجد اخصُّ تعاليم الانجيل ظاهرة ومزينة بتشابيه والفاظ حسنة تسرُّ القاري وتعينه على معرفة كمال نعمة الانجيل وحقيقة عرضها علينا مجانًا . وفيها ايضًا نبواتٌ عن رفض اليهود ودعوة الامم وعن كيفية قبول الانجيل المختلفة عند الذين يسمعونهُ وعن وجود المسيحيين الصادقين والغير الصادقين في الكنيسة وعن الاضطهاد الشديد الذي كان الذين امنوا بالمسيح عتيدين ان يقاسوه وعن سقوط اعدايه

وهلاكهم اخيرًا

وفي جميع مخاطباتهِ كان يتكلم بما لم يتكلم بهِ احدٌ من الناس قبلاً. فرفع التناسيرا التي كانت قد زيدت على الشريعة واظهر رسومها على ما هي. ولم يُدخِل عليها شيئًا من مبادي بعض النظريات الفلسفية في تعاليمهِ. ولم يتداخل في ابحاث العلماء الغويصة بل علَّم الحقَّ بالبساطة والسلطان

واما غيرتهُ على وجوب تقديم الاكرام الى الله والعبادة لهُ بالطهارة والقداسة وكراهتهُ لما وضعهُ الناس في امر الدين والعبادة فظاهرتان من جميع سيرتهِ. وكان روح العبادة الحارَّة السامية سمةً كثيرة الوضوح فيه. فكان قبل طلوع النهار ينفرد لاجل العبادة ويصرف ليالي باسرها في الصلوة. وكان من عادتهِ الصلوة وتقديم الشكر في جميع الاحوال مع كون عبادتهِ خاليةً من كل وسواسٍ وهوَس. وكان يعلّم ان المقبول في الصلوة عند الله هو القلب لا اللسان وروح الصلوة لا طولها

وكان جودهُ ووداعتهُ وجهدهُ في نمو خير البشر امرًا ظاهرًا كل يوم من حيوتهِ مع عدم الافتخار في اعمال الرحمة وفي اعجب المعجزات التي كان يعملها. فكان يصنع الخير في جولانهِ بين الناس ولا يطلب المجد منهم بل كان متواضعًا قانعًا بادنى ما يكون من حالة الفقر. وعند ما كان الناس يمدحونهُ كان يتحول عنهم ولما ارادوا ان يقيموهُ ملكًا هرب من بين ايديهم وحينما

سالوهُ مسايل خارجية كان يوجّه افكارهم الى ما هو اهمُّ منها واذ كانوا يتفوهون بما لا معنى لهُ من المديح كان يعلّمهم شيئًا من الحقايق الجوهرية. وربما لم يُظهر في اعمالهِ حكمةً اكثر من عدم تعرضهِ للامور العالمية. وبذلك اظهر في سيرتهِ ما قالهُ اذ حاكموهُ اخيرًا ان ملكوتهُ ليس من هذا العالم

وفي معاشرتهِ تلاميذهُ نرى الهيبة ممزوجةً بالوداعة والصدق بالتنازل لضعفهم. فلا عجب من محبتهم لمثل هذا المعلم. فانه لا نظير لمخاطباتهِ الاخيرة لهم قبل آلامهِ وللصلوة التي قدمها من اجلهم المملوة من المحبة والتعزية. فما ادرك وافرغ مخاطبات سقراط لاصحابهِ بالنسبة الى مخاطبات المسيح لتلاميذهِ المذكورة في الاصحاح الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر من انجيل يوحنا. ولا ريب انهُ لا يمكننا ان نجد خُطَبًا في اي لغةٍ كانت تستحق ان تُقابَل بخُطَب المسيح هذه الاخيرة. ومحبته الخالصة تبين لنا على افضل نوع اذ تذكرنا انهُ كان حينئذٍ عالمًا بان آلامهُ قريبةٌ وانها تكون قاسية شديدة في الغاية ومع ذلك لم يهتمَّ الاَّ بامر تلاميذهِ الممتلئين من الاحزان وكان كل ما قالهُ متعلقًا بهم. ثم كان وضع العشاء السري المقصود بهِ ذكر موتهِ محبوبًا بظروف يُوقَف منها على صفات المسيح باحسن وانفع طريقةٍ. ومن يريد الوقوف على ذلك فعليه بالاطّلاع على اخبار اصحاب الانجيل

والامر الاخير في صفات المسيح الذي نذكرهُ الان هو الصبر والجَلَد اللذان بهما احتمل من الآلام الشديدة المفرطة ما يفوق الادراك. ففي جميع ذلك شيء من السر. لان اشد هذه الالام لم يكن لها في الظاهر تعلُّق بالظروف الخارجية. فلما سلَّمهُ الخائن من تلاميذهِ وفارقه الاخرون واخذتهُ الجنود لم يَلُحْ عليهِ شيءٌ من الخوف والقلق. بل سلَّم نفسهُ وخضع بكل سكونٍ لجميع اصناف الاهانة والهزء. ولما جرى البحث في امرهِ امام شيوخ اليهود وبيلاطس الحاكم الروماني كان على الغالب صامتًا لا يوبخ احدًا ولا يشكو شيئًا حتى لم يتكلم شيئًا في حق نفسهِ. ولما سألهُ القضاة اجابهم علانيةً عن مسايلهم واقرَّ بانهُ المسيح ابن الله وملك اسرائيل. وعند ما تراكم عليهِ الهزء والشتيمة كان هاديًا في الغاية ولم ينطق بكلمةٍ تدل على الضجر او الغضب. والى ذلك يشير النبي بقولهِ كما ان النعجة صامتة امام الذي يجزُّها هكذا لم يفتح فاهُ. ولما ناحت عليهِ بنات اورشليم وهو ذاهبٌ الى المكان الذي صُلِب فيه حاملاً صليبهُ طلب منهن ان لا يبكين لاجلهِ بل لاجل نفوسهن ولاجل اولادهنَّ لعلمهِ بما يأتي على المدينة من الشدايد. ولما كان معلَّقًا على الصليب نظر امهُ المباركة بين الواقفين واذ كان عالمًا بانها تحتاج من يلتفت اليها طلب ذلك من التلميذ الذي كان يحبهُ. ومع انهُ لم يكن يمازج الغضب شيءٌ من الرحمة في قلوب الذين اضطهدوهُ اعطانا قدوةً جليلةً في

أصعب ما يوجد من الواجبات علينا وهو محبة الاعداء. كما يقول بطرس الرسول ان المسيح ايضاً تألم بدلنا وابقى لكم مثالاً لكي تتبع خطواتهِ. ذلك الذي لم يعمل خطيةً ولم يوجد في فمهِ غدرٌ. ذلك الذي كان يُسَبُّ ولا يَسُبُّ. أُصيبَ فلم يتهدَّد. لكنهُ كان يسلّم نفسهُ للذي يقضي عليهِ ظلماً[1] ومن كلماتهِ الاخيرة قبل موتهِ كانت صلوةٌ لاجل الذين كانوا يصلبونه. فقال يا ابتِ اغفر لهم لانهم لايدرون ماذا يصنعون. واللصّ مصلوبٍ معهُ قد تاب وطلب منهُ ان يذكرهُ حين يدخل الى ملكوتهِ قال في هذا اليوم تكون معي في الفردوس. ثم قال اخيراً يا ابتِ في يديك اسلّم روحي ثم امال راسهُ ومات

وكان فضل صفات المسيح غريباً في احتوآيها من العجايا على ما يعدُّه الناس متناقضاً. فكان يزهد في املاك العالم ويحبّ ويحسن التعبد والتقوى بدون شيء من العبوسة والتقشُّف. وقد اجتمعت فيهِ المهابة والتواضع. وكان يظهر الغضب الشديد على كل نوعٍ من الخطية وعلى الخطاة المصرّين على خطاياهم مع الرقّة القلبية نحو كل تايبٍ صادق. وكان يقرن روح العبادة الفايقة بحيوةٍ مملوة من الحركة والعمل. واذ كان يعاشر اناساً من كل رتبةٍ لم يتخذ شيئاً من اهوآيهم المنحرفة ولم يسكت عن رذايلهم. وفي هذا الموضوع يقول احد الفضلآء

(١) رسالة اولى ص٢ ع٢١ الى ع٢٣

قد امتازت حيوة المسيح بخصلةٍ يقوم بها الكمال الادبي اكثر من غيرها وهي اجتماع الشيء ونقيضهِ اليه اجتماع فضايل يعسر اجتماعها بل يشعر ظاهرها بالتناقض ولكنها متى اجتمعت على حقها يوجد فيها مناسبة ادبية وتجذب المحبَّة والاحترام بقوة متساوية . فنرى مثلاً في يسوع المسيح من الاخلاق المهيبة وسمو الفضيلة ما لم يظهر او يصل اليهِ شخصٌ اخر على مدى الزمان وذلك ممزوجٌ بتنازلٍ ولطافةٍ وبساطةٍ كلية لايظنُّها احدٌ انها تليق بعظمتهِ . وهكذا قرن رفض العالم مع نعيمهِ وخيراتهِ بالسيرة اللطيفة والبشاشة الانيسة . واقترن فيهِ شدة الحاسَّية بالحكم على النفس . والكراهة الشديدة للخطية بالشفقة على الخاطي . والانعكاف الكامل على عمله بالصبر الهادي على المقاومة وعدم النجاح . والمحبة العمومية بالمحبة الخصوصية . والسلطان اللايق بمخلص العالم برقة الابن وشكره

واما منافع الديانة المسيحية في الجماعات والافراد فهي مدخلٌ عظيمٌ لكلامٍ مفيد في هذا الشان . ولكنهُ موضوعٌ لايسعنا الان الكلام فيهِ ولا يمكننا ترك ذكرهِ بالاختصار . فنقول ان البرهان من هذا القبيل يقتصر على مسيلةٍ واحدة وهي اننا لو نظرنا الان الى جميع العالم من حيث احوال شعوبهِ وحكمنا بالانصاف لوجدنا احوال الشعوب المسيحية احسن من احوال من سواهم بما لايقاس . ولو نظرنا من ثمَّ الى الشعوب المسيحية وقابلنا الذين

يكون كتاب الله شايعًا بينهم وهم يطالعونهُ ويتعلّمون تعاليمهُ بالذين يعارضون قرآءتهُ ولا يطالعونهُ لوجدنا حال اوليك احسن من هولآء. واذا كان ذلك كذلك فنسال كيف يمكن ان اكذوبةً تكون واسطةً هكذا لاصلاح العالم ونافعةً على قدر ما تُعرَف وتُطَاع

وفضلاً عن ذلك قد راينا في ايامنا هذه نجاح الانجيل في تهذيب اغلظ قبايل الارض الذين كانوا على قربٍ من درجة الوحوش. فانهم قد تنوّروا وارتقوا الى التمتُّع ببركات الحيوة المتمدنة وتلطّفت اخلاقهم الوحشية في الغاية. وذلك مشهور في كرنبلاند وافريقيا وجزاير البحر المحيط وبين هنود اميركا وغيرهم. ولا اعلم ماذا يقول الكافرون في هذه الامور غير انني بالنظر الى نفسي لو قام واحدٌ من الاموات او جآء صوتٌ من السمآء لما كان ذلك عندي برهانًا على صحة الانجيل اقطع من هذه المنافع المشهورة العظيمة. فهل يمكن ان الاكاذيب المتتابعة يصدر عنها مثل هذه المفاعيل

نعم قد اعتُرِض على الديانة المسيحية بانها قد دعت الى حروب عظيمة واضطهاداتٍ ظالمة. ولكن ذلك من المستحيل لان الديانة التي لا تامر الاَّ بالاحسان والسلامة وتنهي عن مقاومة الشر بالشر وتوصي بمسامحة الاعدآء لا يمكن ان تدعو الى الحرب والاضطهاد. نعم قد يُتخَذ منها فرصة لمثل هذه

الشرور. ولكن نسبة ذلك الى الديانة المسيحية كانها قد دعت اليه جهلٌ عظيم بعد النظر الى كون روحها مضادًا لهذه الشرور على الخط المستقيم. فلو كان الاعتراض صحيحًا لصحَّ ان ننسب الى الاحكام المدنية جميع الحروب والفتن التي حدثت عن اجراء شرايعها. ولصحَّ ايضًا ان نشكو الحرّية بكونها دعت الى جميع فواحش الحركة الفرنساوية في الجيل الماضي. واما السبب الحقيقي في هذه الشرور فليس هو الاَّ الشرّ الموجود في طبيعة الانسان. وافضل الاشياء في العالم قد تكون سببًا لتهيج هذا الشر. وقد تنبَّأ المسيح بان ديانتهُ تكون سببًا للمخاصمة بين الاهالي. ولايضاح حقيقة ما تنبَّأ بهِ قال لا تظنُّوا اني جيت لالقي سلامًا على الارض. لم اجيء لالقي سلامًا لكن سيفًا. وقد عوَّج هذا القول الذين يتخذون ظاهر الكلام بان المعنى المقصود هو ان ديانتهُ تميل الى تهييج الخصام بين الاحباب. ولكن لا يضلُّ في هذه القضية من يقرأ العهد الجديد. ولا ريب في انهُ حالما يتمسك جميع الناس بالديانة المسيحية على حقها تنقطع الحرب الى اقاصي الارض. ويحوِّلون اذ ذاك سيوفهم الى سكك ورماحهم الى مشاذب ولا يتعلمون الحرب بعد ذلك. هذا قول كتاب الله على سبيل النبوة وهذا ما نعتقد به

واما منافع الانجيل في الافراد الذين قبلوهُ بقلوبهم فهي اعظم برهانٍ على انهُ من الله. فكم صار المتكبر متواضعًا

بواسطته والنجس طاهرًا والماكر نصوحًا والظالم عادلاً والحاقد غفورًا والسكير صاحيًا والشاتم اديبًا والكذوب صادقًا وهلمَّ جرًّا. فايُّ ديانةٍ تؤثر مثل هذه المنافع العظيمة. وان قيل ان كثيرين ممن يدعون هذا التغيير هم من اهل المكر والخباثة فالجواب ان ذلك لايدلُّ على ان الذين تحقق صدقهم مدة حيوتهم يكونون من اهل المكر ايضًا. ان جميع الناس يريدون حسن الظن في صدقهم. فان وُجِد بعضهم ماكرًا فهل يكون ذلك برهانًا على انهُ لا يُوجَد انسانٌ صادقٌ في العالم

ومهما كان تاثير هذا البرهان في الذين لم يشعروا بقوة الانجيل في نفوسهم فلا ريب ان يكون له اعتبار كلي عند الذين قد رجعوا بواسطته عن ضلال طرقهم. فمن هولآء يوجد الوفٌ يشهدون بانهم قد اختبروا قدرة كتاب الله على ترجيعهم عن خطاياهم واضرام محبة الله والفضيلة في قلوبهم. فلا يستطيعون الاَّ ان يومنوا بان الديانة المسيحية من الله ويعتقدوا بان لا شيء من الاكاذيب والخداعات ينوّر العقل ويقدّسهُ هكذا. ولا شيء من استنباط البشر لهُ من التاثير في القلب ما لهذا الكتاب الالهي. ولهذا يقال بالحق عن هولآء ان لهم شهادة الحق في انفسهم

وفي حقايق الكتاب قوةٌ ليس للارشاد والتقديس فقط بل لتعزية المحزونين ايضًا. فياتي الانجيل بالسلام والراحة الى كل صدرٍ يقبلهُ بالمحبة. وحينما يُخَس الضمير من تذكُّر فعل

المحرّمات ونتالم النفس من جرحٍ لايشفيهِ علاجٌ بشري تكون مواعيد الانجيل كبلسم جلعاد علاجًا قاطعًا لهذا المرض الاليم المتمكن . ومن فعلهِ المُنعِش يُشفَى القلب المنكسر ويُرفَع ثقل اليأس بالكلية . فالانجيل كملاك الرحمة ياتي بالتعزية الى اظلم اماكن الضيقة . ويدخل الى السجن ويخمد احزان التائبين الموثوقين فيه . ويشجّع قلب الانسان الذي يلاقي الموت على المشنقة اذا كان يقبل في قلبه دعوتهُ لاكبر الخطاة . ويسلّي احزان الذين ينوحون على الموتى ويمسح الدموع من اعين الذين يبكون فراق الاحباب والاهل . وبوعدهِ الذين يقبلونهُ بالخبر بعد الموت ينهض رجاءهم ويحوّل ظلام القبر الى نورٍ . فيصبح المسيحيون الحقيقيون من قوة ايمانهم بقيامة الجسد في يوم البعث يسلّمون اعزَّ الاحباب الى حفظ القبر وهم يثقون انهم بعد نومٍ قصيرٍ يقومون الى حيوةٍ ابدية

وكثيرًا تُبارَك اكواخ الفقراء بتعزية الانجيل . فانه يناسب ذوي الضيقة والمسكنة على الخصوص وقد سبق قول النبوة عن يسوع المسيح بان المساكين يُبشَّرون منه . فيضع الانجيل فيهم القناعة بحالهم والتسليم لامر الله والمحبة من بعضهم الى بعضٍ والشوق الى نعيم السماء . والشيوخ العاجزون الذين يفقدون قواهم وينقطعون عن اشغال العالم وسروره بسبب المرض او الهرم قد يجدون فيه ينبوعًا للتعزية . واذ هم ممتلئون من روحه

السماوي ينظرون الى ذهابهم من العالم بدون حزنٍ بل يفرحون بما ينتظرونهُ فرحًا لا يوصف. ويجعل الانجيل نير العبودية وقيود الظلم تحت الطاقة والاحتمال. فكم من مرةٍ يرى العبد التقيّ بسبب ما يوثرهُ فيهِ كلام الله يفوق مولاهُ في السعادة بما لا يُحَدُّ. فلا يبالي بسلب حرّيتهِ منهُ الى مدةٍ يسيرة لانهُ يعلم انهُ عتيق المسيح ويعتقد ان جميع الاشياءَ تأول الى خيرهِ وان هذه البلايا الخفيفة التي دوامها لحظةٌ تصنع لهُ كثيرًا من المجد الابدي بل ان هذا الانجيل الشريف ترياقٌ للموت نفسه. فان الذي يتبع اقوال المسيح لا يذوق الموت اي لا يجدهُ لعنة ولا تصيبه حربة الموت المسمومة بالخطية. فكم من مرةٍ يملأُ الانجيل قلب التقي من السلامة وهو في حالة الموت. وكم يُنعِشُ النفس بالفرح السماوي عند فراقها هذا المسكن الارضي. وكم يحوّل فراش المايت الى مكان راحةٍ ناعمة. فنراه لا يعتريه شيءٌ من الخوف ولا تمرمر الآلام نفسهُ ولا يثقل عليهِ حزنٌ. بل لهُ في تلك الساعة الهايلة كمال الرجاءَ والسرور والتهلل

فالمسيلة التي نحن الان في صددها عن هذا الكتاب الذي يتضمن مثل هذه التعاليم الصحيحة السامية في اللاهوت. الذي يخبر عن تاريخ الانسان الصحيح وصفاتهِ الحقيقية من غير تعويجٍ ولا مبالغة. الذي لهُ قوةٌ عجيبة في الدخول الى القلب البشري والتاثير في ضميره. الذي يخبرنا عن نفس القضايا التي

نحن في اشد الاحتياج الى معرفتها . الذي يوضح لنا الاخرة ويعلّمنا كيفية الوصول الى سعادتها ومجدها . الذي يتضمن رسوماً كاملة في الواجبات الادبية مناسبةً لطبيعتنا وحالنا سالمةً من النقص الذي يقع في غيرها من مذاهب الآداب . الذي لا ينهي عن شيء هو من الحلال ولا يطلب امرًا غير موافقٍ للعقل السليم ورسوم الفضيلة . الذي يجمع جميع الواجبات في بعض مبادي عمومية لكنهُ يجريها في اوامر كثيرة جزئية تناسب حال كل انسانٍ في مهمّات الحيوة واضعًا امامهُ امثلتها من سيرة اناسٍ صالحين مذكورة فيها بصدقٍ مع نقايصهم التي لا تخلو منها سيرة افضل الناس . الذي يرسم لنا صفات يسوع المسيح واضع الديانة المسيحية بكمال الفضل الادبي الذي لا يقبل الزيادة او النقصان وجميع ذلك بمجرد ذكر كلامهِ واعمالهِ وآلامه . الذي يتضمن اخيرًا المصادر الحقيقية للتعزية في كل انواع المصايب البشرية وللراحة في حال الموت نفسهِ . ومضمون المسئلة هو هل يمكن ان يكون مثل هذا الكتاب تاليف اهل المكر وهم صيادون اميّون . أما كان يقع مثل هولاء في غلطٍ بشيء من اللاهوت او الآداب . هل كان يمكنهم ان يحفظوا مثل هذه المناسبة الحسنة والموافقة الكاملة بين اجزآيهِ . هل كان يمكنهم ان يتصوروا سيرةً كسيرة الرب يسوع الذي حين يخبرون عما صنع وقال تحت ظروفٍ مختلفة صعبة لا نراهم يقعون في ضلالٍ او سقطةٍ من الضعف البشري . هل كان

اصحاب المكر يحرّمون الكذب والخداع قطعاً كما حرّم ذلك العهد الجديد. هل كانوا يشدّدون في طلب القداسة كما نرى في الانجيل. هل كانوا يقدرون ان يجعلوا مكرهم في الكتاب موافقاً على التمام لمزاج العقل البشري واحوال الناس. هل يُحتمل انهُ كان لهم من الحكمة ما يحذرهم من التحزُّب باحزاب امّتهم والتعلق ببعض مذاهب زمانهم او بعض الاحكام المدنية. هل كان في طاقتهم ان يقدموا لتعزية المحزونين ما يوجد في الانجيل. اين الناس على وجه الارض الان الذين يستطيعون ان يؤلّفوا مثل هذا الكتاب

فنقول انه اذا اقنع احدٌ نفسهُ بعد فحص الكتب المقدسة من غير هوى نفسٍ ان الذين كتبوها كانوا من الماكرين الخبثاء فيمكنه ان يعتقد ان رجلاً وحشيًّا يصطنع ساعةً او ان طفلاً يكتب كتاباً كمقامات الحريري او ان الاجرام السموية هي خلقة مخلوقٍ. لكن هيهات ان يكون كتاب الله تزويراً. انه لم يوجد لانسانٍ او لجماعةٍ من العقل والعلم ما يكفي لكتابته. ويد الله ظاهرةٌ فيهِ فهو ينير بنورٍ يُعرَف من بهآيه انهُ من الله. ولهُ من قوة التاثير في القلب ما يدلُّ على قدرة واضعهِ الفايقة وعلمهِ المحيط بكل شيء. وهو ينير ويطهر ويرشد ويعزّي جميع الذين يقبلونهُ بقلوبهم. فلا ريب انهُ كلام الله وافضل انعامهِ تعالى على البشر

فيا لسمو هذا الانجيل الشريف وما اظلم تلك اليد التي تخاطفهُ منا وهو اشهى التعزية واحلاها لقلوبنا . هل يريد احدٌ ان يُظلِم الباب الوحيد الذي منهُ ياتينا نور الرجآء وان ينزع من الضعفآء والمساكين العاجزين السند الوحيد الذي تستطيع انفسهم ان تستند عليهِ بالسلامة وان يسلب من الذين يموتون الواسطة الوحيدة لتعزيتهم وان ينهب من العالم اغنى كنوزه وان يفتح ابواب الفواحش ويرجع الخرافات وخبث الكفر على الارض . هل يريد ذلك احدٌ فعليه ان يجتهد في ملاشاة الانجيل وجعل الديانة هزءًا والاخرة اضحوكةً . ولكن ليعلم يقينًا ان الله سيدينهُ على جميع ذلك في يوم البعث . الا انني لا اظنُّ ان مثل هذا الفكر الخبيث يداخل احدًا ممن يطالع ما قيل من الكلام السابق في هذا الكتاب . بل الارجح ان الاعتبار لخيره ان كان من اهل الدنيا يحثُّهُ على اعتبار الديانة المسيحية . وان كان من اهل التقوى فلا ريب ان قلبه الصالح يقول أَحَبُّ اليَّ انقطاع ضوء الشمس من انقطاع نور الانجيل

الفصل الرابع عشر

في ان الكتب المقدسة وعلى الخصوص العهد العتيق قد كان للذين كتبوها الهامٌ من الله يصونهم من الغلط في افكارهم واقوالهم

قد سعينا في ما تقدم من الكلام ان نثبت صدق الكتب المقدسة. والان ناخذ في الكلام عن الهام الذين كتبوها. نعم ان هذين الموضوعين متداخلان احدهما في الاخر وكثيرٌ من الادلة على الاول منهما يثبت الثاني ايضًا. ولكن يوجد بينهما فرقٌ يُعتبَر. فانهُ قد يكون كتابٌ صادقًا من غير ان يكون لهُ شيءٌ من الوحي اصلاً. كالاخبار الصادقة التي كتبها اناسٌ من اهل الصدق بمجرَّد استعمال قُوَى انفسهم. وقد يُبرهن على صحة تاريخ الانجيل بواسطة المبادي المقبولة في الامور الدارجة بين الناس كما يُبرهن على صحة تاريخ اخر. وبالحقيقة لابد من ذلك في نظام البراهين قبل ان يتكوَّن برهانٌ قاطعٌ على صحة الوحي الالهي. وبناءً على ذلك قد كان لكل الذين كتبوا من الفضلاء في الادلة على الديانة المسيحية عادة ان يثبتوا اولاً الحوادث المذكورة في الانجيل باستشهاد مجرد الشهادة البشرية. وربما يصدّق البعض من

الناس ايضاً الحوادث المذكورة فيه حتى المعجزات ايضاً من دون التفات الى انهُ هل كُتِب خبر هذه الحوادث بوحيٍ من الله. فقد ذهب البعض الى ان لاشيء من الوحي للذين كتبوا الانجيل مع الاعتراف بانهم كانوا من ذوي الصدق ويجب قبول شهادتهم كما يجب قبول شهادة غيرهم من المورخين الصادقين. فتكون صحة الحوادث كافية للبرهان على ان الديانة المسيحية بعمومها صادرة من الله. ولكن لاينتج من ذلك ضرورةً ان المورّخ الذي يخبر عن تلك الحوادث كان لهُ الهام من الله يحفظه من السهو في الجزئيّات. فهذه قضيةٌ قائمةٌ بذاتها وهي امرٌ عظيم الشان يستحق البحث الراهن من غير تعصبٍ

وهنا محل للكلام في التمييز بين الالهام والتنوير الذي هو في كل مسيحي حقيقي اساس الايمان الحاصل من فعل الروح القدس. والفرق بينهما ان غاية الالهام غالباً تكون اعلان حقايق جديدة او اظهار ما كان غير واضحٍ فيما قد عُلِم سابقاً. فيكون الالهام يرشد العقل على نوعٍ غير طبيعي الى كتابة بعض اشياء او التكلُّم بها وهو يحافظ على قواهُ او يقويها بحيث يستطيع العقل ان يوضح بالصواب ما لم يكن معروفاً من قبل او ان يتصوَّر افكاراً ويستعمل كلاماً نفيساً تعجز القُوَى الطبيعية عن الوصول اليهِ. واما التنوير من الروح القدس فلا يعلن حقايق جديدة بل انما يضع في النفس امكاناً لتفهم على طريق

روحية حقايق معلنة من قبل. وعلى هذا يُبنَى الفرق العظيم الواقع بين الحركات الروحية التي يشعر بها جميع المسيحيين الحقيقيين وبين الوسوسة التي تدّعي بشيء من الالهام. فالمسيحي العاقل يستطيع ان يستشهد كتاب الله لاثبات جميع الافكار التي تلوح في عقلهِ وهو في اعلى درجةٍ من الفرح والمحبة الروحية. واما ذوو الوسوسة فيتركون الكتاب ويتكلون على حركات القلب الداخلية والمؤثرات في المخيلة وما يحرك اليهِ العقل بديهًا والاحلام او المناظر الموهومة وما اشبه ذلك. فلو كانت هذه التحريكات من روح الله لاشتركت مع الالهام بحقيقتهِ. ولهذا نرى اكثر ذوي الوسوسة يعتقدون انهم من اهل الالهام. ولكن مهما كان اعتقادهم قويًا في ذلك فلسنا ملتزمين ان نصدّق دعاويهم ما لم ياتوا بالبراهين الخارجية التي يستعملها الله شهادةً لصحة ما يعلنهُ للانسان

ويوجد ايضًا فرق بين الالهام والاعلان. فان الاعلان لم يات الانسان دايمًا بوضع الروح القدس حقايق في العقل يتلقين داخلي. بل كان الله يخاطب الناس قديمًا في اوقاتٍ كثيرة باصواتٍ مسموعة او يعلن ارادتهُ بارسال الملايكة وبوسايط اخرى خارجية. وعلى ذلك جاء الاعلان الى كثيرين لا يدّعون بالالهام. فجميع بني اسرائيل الذين وقفوا امام الله عند طور سينا قد سمعوا الوصايا العشر من فمهِ تعالى لكن ليس احدٌ يقول انهم

كانوا جميعهم ملهمين. وهكذا لما كان المسيح على الارض سمع كثيرون اكثر من مرة صوتاً من السماء يقول انهُ ابن الله الحبيب. وبالحقيقة يقال عن جميع الذين سمعوا كلام المسيح ان اعلاناً اتاهم من الله. ولكن لا يقال انهم كانوا جميعهم ملهمين

وقد قسم المحققون الالهام الى ثلثة اقسام. الهام العصمة والهام التلقين والهام الترقية. اما الاول فهو ما اذا حرك الروح القدس مورّخاً ان يكتب وفي كتابتهِ يرشدهُ في اختيار الحوادث والظروف ويساعدهُ في سرد الاخبار بحيث يُحفَظ من السهو والغلط. فليس من الضرورة ان تُوحَى اليهِ الحوادث لانها قد تكون معروفه عندهُ وراسخة في ذهنهِ. ولكن ليس في طاقة الانسان ان يكون سالماً من الغلط في قص الحوادث القديمة. فان كان من الضرورة ان يكون التخبير خالياً من الغلط فلا بد من الهام الكاتب. واما الثاني فلما كان اخصُّ الاغراض من الالهام اعلان حقايق لم تُعرَف قبلاً كان الهام التلقين لازماً عند الحاجة اليه. كما لما اتى الانبياء بنبوة على خراب مملكة او برسالة من الله الى امةٍ او الى شخص كان من الضرورة ان الافكار يتناولها ذهن النبي من الروح القدس. واما النوع الثالث الذي هو الترقية فيكون في الذين يستطيعون بوحي من ربهم ان ينطقوا او يكتبوا ما لا يصل اليهِ مجرد قواهم. وعلى ذلك قد نطقت النسمة الملهمات من الله بديهاً بافصح كلام الشعر مما لا تصل

اليهِ قواهنَّ بدون مساعدة. وقد يكون هذا الكلام خاليًا من اعلان تعليم جديد ويُقتصَر فيه على اعتصام القوى البشرية عن الغلط كما اوضحنا ذلك في محلهِ. ولكن تُرقَّى قوى العقل ترقيةً عجيبة بحيث تصير الافكار اكثر اشراقًا وسموًّا ويعبَّر عنها بكلامٍ اكثر مناسبةً وبلاغةً مما لو كانت القوى على الحالة الطبيعية. وبمثل هذا الالهام كتب داود بعض الزبور وسليمان الامثال وصاحب سفر ايوب ما يوجد فيه من الكلام البليغ والانبياء كثيرًا مما يوجد في كتاباتهم

وعلينا هنا مسئلة اخرى. وهي هل أُلهِم بكلمات الكتاب كما أُلهِم بالافكار. فمن الناس من يقول انهُ لا يلزم ان نعتقد بان الكلمات المستعملة في التعبير عن الحقايق المُوحَى بها قد أُلهِم بها من الروح القدس ويشهد لذلك اعتبار اختلاف اسلوب الكلام بين الكاتبين. فان لكل واحدٍ منهم اسلوبًا مختصًّا بهِ على حسب علمهِ ومزاج عقلهِ. ومنهم من يقول ردًّا على ذلك انهُ ما لم يُلهَم بالكلمات كما أُلهِم بالافكار لا يمكننا ان نتحقق ان الكاتب قد اظهر ارادة الروح القدس بالتمام. لان الناس بمعرض الغلط في اختيار كلماتٍ مناسبة للمعاني المقصودة كما هم كذلك في بقية الامور. وكما ان الناس يعجزون كثيرًا عن التعبير عن افكار عقولهم بكلام يطابق المقصود كذلك قد يقعون في مثل هذا العجز عند ما يعبّرون عن الافكار المنزلة عليهم من الله لو تُرِكوا لارشاد مجرد

قوامهم . وفضلاً عن ذلك لا يمكننا ان نتصور اعلان حقايق للعقل من غير ان يكون معبَّرًا عنها بكلماتٍ . لانه قلَّما نستطيع ان نفتكر فكرًا بيِّنًا عن امرٍ من الامور من غير توسط كلماتٍ فكيف يستطيعون ان يكتبوا شيئًا بيِّنًا بدون ذلك

فنقول ان الارجح في هذه المناظرة ان يكون كل واحدٍ من الفريقين مصيبًا من وجهٍ كما يكون في كثيرٍ من المناظرات . او بالحري اننا نحصل على الحق باتخاذ ارآء الفريقين والاجتهاد في موافقتها . فان المبادي المذكورة آنفًا التي تجري في الافكار تجري ايضًا في الكلمات من غير خلافٍ . فمتى كانت الحقايق المعلنة مجهولةً قبلاً عند الذين أُنزِلَت عليهم وعلى الخصوص متى لم يفهموا معنى ما أُعلِن كما يظهر كثيرًا في امر الانبياء نعتقد ضرورةً ان الكلمات كالافكار قد أُلهِم بها من الروح القدس . ولا بدَّ ان ذلك كان ايضًا في قضية الرسل وغيرهم ممن أُنزِل عليهم موهبة الالسنة التي لم تكن الاَّ الهامًا بكلماتٍ لاجل التعبير عن حقايق الانجيل

ولكن كما ان الكاتب لا يحتاج في فصِّ الاخبار المعهودة الى الالهام بكل فكرٍ بل الى عصمة تصونهُ من الضلال هكذا في استعمال كلماتٍ للتعبير عما كان معروفًا عندهُ لا يحتاج الى الالهام بكل كلمةٍ بل الى ملاحظةٍ وهدايةٍ فقط . فعلى هذا المذهب يُصان كلام الذين كتبوا الكتاب من الغلط والالتباس وتبقى لوائح روح

الانشاء المختص بكل واحدٍ ظاهرٌ منهم. ومثال ذلك في الاب الذي يرشد يد الولد في الكتابة بحيث يحرك الولد قلمهُ ولكن بهداية الاب وارشادهِ لكي لايتجاوز الحدود المفروضة. وايضًا قد يُمثَّل هذا الاعتصام من حيث الافكار والكلمات بأبٍ يمسك بيد ولدهِ في طريقٍ ضيق فالولد يمشي بنفسهِ ويأخذ في خطواتهِ ما يستطيع واما ابوهُ فيحفظهُ من الوقوع ويتكفل بثباتهِ في الطريق. وكذلك الحال في من كان يصونهم الروح القدس في امر الانشاء. فانهم لم تكن قوى عقولهم باطلة بل انما كانت مرشدة ومصونة عن السهو والضلال وكل واحدٍ منهم باقٍ على طريقتهِ في افكارهِ والفاظهِ. فهو يتكلم او يكتب بما عندهُ من الكلام ويستعمل اساليب الانشاء التي من دأبهِ ان يستعملها. وهكذا على هذا المذهب لم يتجرَّد المُلهَمون من قرايحهم والفاظهم المألوفة ولكن كانوا كانهم يكتبون او يتكلمون من غير الهامٍ بهذا الاعتبار

وللبعض اعتراضٌ على هذا المذهب في الهام الاعتصام بانهُ اقلُّ كمالًا مما لو قرَّر الروح القدس كل كلمة في ذهن الذي كتبها. والحق ان هذا الاعتراض لا وجه لهُ اذ كانت كيفية حصولنا على المعرفة امرًا لا طايل تحتهُ بشرط ان لا يكون ريبٌ في صحتها فان امورًا كثيرة لا يزيدنا ايُّ وجهٍ كان شيئًا من التحقيق على صحتها. والمعرفة التي وصلت الينا باستعمال العقل ليست

باقلّ قيمةً من حيث وصولها الينا على طريقة طبيعية. بل بالحقيقة هذه القوى الطبيعية التي بها نستطيع ان نحقق مبادىء الحق الاولى انما هي عطيّة الله كالوحي. فالمعرفة البديهية اليقينية التي عندنا ببعض الحقايق قد تُحسَب من وجهٍ كالهامٍ ملازم. فلو فرضنا ان انسانًا بواسطة وحي ملازم يتحقق صحة بعض قضايا بحيث لا يشوبهُ ريبٌ فيها البتة فما الفرق والحالة هذه بين ذلك وبين الاشعار البديهي بمبادي بيّنة بالطبع لكل انسانٍ عاقل. واذ ذاك لا يزيدنا وحي التلقين شيئًا في معرفتنا الاشياء التي نحن متحققون صحتها طبيعيًّا. فلا نحتاج في كل ما يتعلق بمعرفتنا المستفادة من الاختبار او المشاهدة الاَّ الى مساعدة تعطينا قدرةً على التعبير عما يجب ان يُدَوَّن لمنفعة الكنيسة خلوًّا من الضلال في الماهية والكيفية

ثم قد ظنَّ بعض الذين لا ينكرون الهام الذين كتبوا الكتب المقدسة بالعموم انهُ من الواجب ان نسلّم بامورٍ في هذا الموضوع لا تدعو حقيقة الامر الى التسليم بها وبذلك قد اوقعوا ما يجاهدون بهِ في صعوباتٍ عظيمة. فمع انهم يصرحون بان الالهام التام قد ارشد الذين كتبوا الكتاب المقدس في جميع الامور العظيمة الضرورية يسلمون انهم قد تُرِكوا لمجرَّد قواهم العقلية في الامور الجزئية واذ ذاك قد سهوا في بعض قضايا عرضية. ويُرَدُّ عليهم بانهُ لو امكن ان يُفصَل بالتدقيق بين ما

كُتِب بالالهام وبين ما لم يُلهَم بهِ. فما نتج من هذا المذهب شرٌّ او ضرر. ولكن لا توجد حكمةٌ بشرية كافية لوضع هذا الفصل فبذلك تكون نتيجة هذا المذهب دخول الشك في هذا الامر العظيم الذي تحقيقهُ من اشد الضروريات. وايضًا يبعد من العقل ان روح الله يعصم كاتبًا من الغلط في بعض ما يكتبهُ ويتركهُ في البعض الاخر. لانه حينئذٍ يكون كالشاهد الذي ان وجدناه قد غلط في بعض الاوجه تضعف ثقتنا بجميع شهاداته. ولو استطاع احدٌ ان يبرهن على ان اصحاب الاناجيل قد غلطوا في الامور الجزئية لكان البرهان على انهم كتبوا شيئًا من الاشياء بالالهام ضربًا من المستحيل

وكثيرًا ياتون بكلام بولس برهانًا على ان الكاتب الذي كان على الغالب ملهمًا قد يُترَك في بعض الاحوال سالكًا طريق ارآيه[1] ولكن اذا سلَّمنا بالمعنى المنسوب الى الرسل في هذا الفصل لا ينتج من ذلك ما نحن فيهِ من هذا المذهب. بل الناتج انما يكون ان بولس في هذه الاحوال المعيَّنة لم يكن مُلهَمًا. فنبقى في ثقةٍ كاملة بما قالهُ في جميع الاحوال الاخر على انهُ كان ملهمًا من الله. ولكن في كون ذلك هو معنى الرسول نظرٌ. لان الاقرب الى العقل ان ما قصدهُ هنا لم يكن الا ان يعلّمنا ان ربنا يسوع المسيح لم يفرض شيئًا في القضية التي كان كلامهُ فيها ولكنهُ

(١) انظر قرنثية اولى ص ٧ ع ١٢ وع ٤٠

بمساعدة الروح الذي كان فيهِ اعطى حكمًا اراد ان يكون مسموعًا مطاعًا. ويشير واضحًا الى انهُ كان يتكلم بالهام بقوله واظنُّ ايضًا ان فيَّ روح الله. فان قولهُ اظنُّ لا يجب ان يأوَّل بالدلالة على الشك لان ذلك بعيدٌ عن معنى اللغة التي كتب بها بل هو عبارة عن اعتقاد ضميره. ولهذا لا حاجة الى اعتقاد ان بولس قد اقرَّ بانهُ كتب شيئًا من غير مساعدة الالهام الالهي. وانه بعيدٌ جدًّا ان ذلك الذي أُلهِم في بقية الامور يُترَك الى نفسهِ في هذا الامر الوحيد الذي لا يُحسَب من الامور الاقل اعتبارًا

فيكون تعريف الالهام على الصحيح انهُ قدرةٌ الهية اثَّرت في عقول الذين كتبوا الكتب المقدسة بحيث عصمتهم من الغلط في المعاني والالفاظ. وهذا هو الذي يقال لهُ الالهام التام. وهو اتمُّ المطلوب لان اليقين الخالي من كل شك هو غاية ما يُطلَب في ايِّ خبرٍ كان. واذا كان لنا ذلك في الكتب المقدسة فلم يبق لنا شيءٌ نطلبهُ من هذا القبيل

واما كتب العهد القديم فلنا اصرح البراهين على ان كلام المسيح ورسله فيها كان دايمًا يدلُّ على الاعتقاد بانها مُلهَمٌ بها وخالية من الضلال. من ذلك قول المسيح لليهود فتشوا الكتب لانكم تظنون ان لكم فيها حيوة الابد وهي التي تشهد من اجلي. وقولهُ ايضًا لانكم ان امنتم بموسى كنتم تومنون بي لانهُ كتب من اجلي. وقال ايضًا ضللتم اذ لا تعرفون الكتب يشير صريحًا الى

ان الكتب المقدسة دستورٌ لا ضلالَ فيهِ. وفي الفصل المتضمن هذه العبارة قد ذُكِر ان يسوعَ اوقع الفريسيين في الارتباك اذ سألهم كيف يستطيع داود بالروح ان يدعو المسيح ربَّهُ وهو ابنهُ. فيشير بقولهِ بالروح الى انهُ كان ملهمًا من الروح القدس في كتابتهِ الزبور. وبعد ان قام المسيح من الموت يشير الى ذلك باجلى بيانٍ حيث يقول هذا هو الكلام الذي كلمتكم بهِ اذ كنت معكم انهُ لابد من ان يكمل كل شيءٍ مكتوب في ناموس موسى والانبياء والمزامير من اجلي. حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب وقال لهم انهُ هكذا مكتوبٌ وهكذا كان ينبغي ان يتألم المسيح ويقوم من الموتى في اليوم الثالث. وفي ما سبق من كلامهِ هذا اشار ايضًا صريحًا الى هذا المعنى بقولهِ يا غير فاهمين وثقيلي القلوب في الايمان بكل ما نطقت بهِ الانبياء. أما كان ينبغي ان يقبل المسيح هذه الآلام وهكذا يدخل مجدهُ. وبدا من موسى وجميع الانبياء يفسر لهما ما كُتِب في جميع الكتب من اجلهِ. فقال احدهما للاخر أما كانت قلوبنا ملتهبة اذ كان يتكلم معنا في الطريق ويفسر لنا الكتب. وكذلك في بستان الجسمانية قال الرب لبطرس اتظنُّ اني لا استطيع ان اصلي الى ابي فيرسل لي حالاً اكثر من اثني عشر جوقًا من الملائكة. ولكن كيف تُكمَل الكتب لان هكذا ينبغي ان يكون. وهذه العصمة من الغلط نفسها ينسبها المسيح الى العهد القديم في مناظرتهِ مع اليهود

المذكورة في الاصحاح العاشر من انجيل يوحنا حيث يقول أليس مكتوبًا في ناموسكم اني قلت انكم الهة . فان كان قال الهة لاوليك الذين كلمة الله كانت اليهم ولا يمكن ان تُنقَض الكتب الى اخره . وتوجد ايضًا ايات كثيرة يصف فيها اصحاب الاناجيل الكتب المقدسة بانها دستورٌ للحق لا شيء فيه من الضلال والغلط . من ذلك ما قيل فيها واذ صنع هذه العجايب الكثيرة امامهم لم يومنوا بهِ لتكمل كلمة اشعيا اذ قال يارب من صدق بسماعنا ولمن استعلنت ذراع الرب . وقيل ايضًا ولهذا لم يستطيعوا ان يومنوا لان اشعيا يقول ايضًا قد اعمى عيونهم الى اخره . وايضًا لان هذا كان ليتمّ المكتوب لا ينكسر منهُ عظمٌ . ولا يخفى ان المعبَّر عنه بالكتب في جميع هذه العبارات هو العهد القديم اذ لم يكن حينئذٍ العهد الجديد قد كُتِب

واما شهادة الرسل في رسايلهم للالهام في كتب العهد القديم فليست اقلَّ دلالةً على ذلك من شهادة المسيح واصحاب الاناجيل . فان بولس في رسالتهِ الثانية الى تيموثاوس يذكّرهُ بانهُ منذ صباهُ عرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكمهُ للخلاص بالايمان الذي بيسوع المسيح . ثم يقول ان كل كتابٍ أوحى بهِ الروح من قِبَل الله مفيدٌ للتعليم والتوبيخ والتقويم والتاديب بالبر لكي يكون رجل الله كاملاً مستعدًّا لكل عملٍ صالحٍ . فلا ريب ان الكتب التي عرفها تيموثاوس منذ صباهِ كانت كتب

العهد القديم اذ لم يكن غيرها حينئذٍ قد كُتِب . ولكن حينما يتكلم بولس عن كل كتابٍ قد أُعطِي بوحيٍ من الله ربما يدخل في هذه العبارة جميع كتب العهد الجديد التي كتبت قبل حبسهِ المرة الثانية في رومية . ولعل تلك الكتب احتوت على الاناجيل الثلثة الأُوَل واعمال الرسل وسايرِ رسايل بولس . لان الظاهر ان الرسالة المأخوذة منها هذه الاية كانت اخر كتابات بولس لانهُ يقول فيها وانا حاضرٌ الان ان انقدم وقد قرب وقت ذهابي . وان الكنيسة كانت تعدُّ كتابات بولس من الكتب المقدسة نعلم من رسالة بطرس الثانية التي ربما كُتِبَت في ذلك الوقت او قبل ذلك قليلاً . ويحق لكلامهِ في هذا الشان النظر الخصوصي لانهُ يتضمن الشهادة الوحيدة التي لنا صريحةً من رسولٍ الى اخر في شان كتاباتهِ . فيقول واحسبوا امهال ربنا خلاصاً لكم كما ايضاً اخونا الحبيب بولس قد كتب اليكم بما أُعطِي من الحكمة . وذلك كما كتب ايضاً في الرسايل كلها قايلاً فيها عن هذه الامور وفيها بعض اقاويل عسرة الفهم التي اوليك الذين ليسوا علماء ولا ذوي ثبوتٍ يعوّجونها كما سايرِ الكتب ايضاً هلكةً لانفسهم . فيظهر من هذا الكلام ان رسايل بولس كانت حينئذٍ مشتهرة وان بطرس الرسول كان يعدُّها من الكتب المقدسة . ولهذا يُحتمَل ان بولس نفسهُ اراد ادخالها مع سايرِ كتب العهد الجديد بقولهِ كل كتاب أُوحِي بهِ الى اخره . واذا كان ذلك كذلك فيكون

فى هذه الاية شهادةٌ على ان جميع العهد القديم وجانبًا عظيمًا من العهد الجديد قد كُتِبا بالهامٍ من الله . واذا اعتبرنا الاخبار عن توبة بولس العجيبة ورسوليتهِ من الله وكونهِ مفعمًا بموهبة اللغات والشفاء والنبوة الى غير ذلك فلا نقدر ان ننكر والحالة هذه انهُ شاهدٌ يُوثَق بشهادتهِ كل الثقة

وقد شهد لنا بطرس الرسول ايضًا على الهام انبياء العهد القديم بكلام لا يحتمل التاويل . فاذ كان يتكلم عن المنظر العجيب الذي شاهدهُ على طور التجلي يزيد على ذلك ويقول وعندنا كلام الانبياء اثبت ففعلتم جميلاً اذا نصتمْ لهُ كانهُ لسراجٍ منيرٍ في موضعٍ مظلم الى ان يظهر النهار ويشرق الكوكب المضيء في قلوبكم . واعلموا هذا اولاً ان كل نبوةٍ في كتابٍ ليس من تأويل المأوَّل وما جاءت قطُّ نبوةٌ من مشيَّة البشر بل من وحي الروح القدس تكلَّم اناس الله المقدسون . ومن هذا الرسول شهادةٌ اخرى في رسالتهِ الاولى حيث يتكلم صريحًا عن الهام الانبياء اذ يقول ذلك الخلاص الذي التمسهُ الانبياء وفحص عنهُ الذين تنبَّأوا بالنعمة التي تكون فيكم باحثين عن الوقت والزمان يدلُّ روح المسيح فيهم متقدمًا بالشهادة على الآلام التي في المسيح والتكرمات التي تكون بعد ذلك . وقد أُوحِيَ اليهم انهم ليسوا خدَّامًا لانفسهم بل لكم بهذه الاشياء التي اخبركم الان اوليك الذين بشروكم بها بروح القدس الذي أُرسِل من السماء

وانهُ لظاهرٌ ان جميع الرسل كما ذكروا كتب العهد القديم ساق كلامهم الى انهم كانوا يعتقدون بانها قد أُوحِيَ بها من الله . ففي الرسالة الى العبرانيين توجد شهادات مثل ذلك كثيرة وصريحة نذكر البعض منها . فنقول انهُ قد قيل في اولها بانواعٍ كثيرة واشباهٍ شتّى كلّم الله ابآءنا على السن الانبياء من قديم الدهر واخيرًا في هذه الايام كلمنا بابنه . وكل ما قالهُ الانبياء يُشار اليه في هذه الرسالة كانهُ قول الله نفسهِ . من ذلك ما ذكر في الاصحاح الماخوذ منهُ الكلام السابق وهو قولهُ وعند ادخالهِ البكر الى العالم قال فلتسجد لهُ جميع مليكة الله . انما قال في المليكة هكذا انهُ صنع مليكتهُ ارواحًا واما في الابن فقال كرسيك يا الله الى ابد الابدين . فجميع هذه العبارات التي ذُكِرَ فيها ان الله قال كذا وكذا انما هي ماخوذة من المزامير . ومن ثمَّ يلزم ان ما قيل في المزامير قد قيل بالهامٍ من الله . وهكذا في الاصحاح الثاني من هذه الرسالة قد نُقِل جانبٌ من المزمور الثامن منبّهًا الى المسيح . وهكذا ايضًا ذُكِرت فيهِ اقوالٌ من العهد القديم كانها اقوال الرب يسوع . من ذلك العدد الثاني عشر المقول فيه اني ابشر باسمك اخوتي والعدد الثالث عشر الذي يقول فيه وقال ايضًا اني اكون عليهِ متوكلاً . وفي الاصحاح الثالث من هذه الرسالة أُورِد شيءٌ من المزامير منسوبًا الى الروح القدس وهو قولهُ فلهذا كما قال الروح القدس اليوم ان انتم سمعتم صوتهُ

فلا تقسّوا قلوبكم الى اخره . وفي الاصحاح الرابع قبل مثل ذلك فانهُ قال في بعض المواضع في اليوم السابع هكذا ان الله استراح في اليوم السابع من جميع اعمالهِ الى اخرهِ . وفي الاصحاح الخامس يقول لكن لهُ قال انت ابني وانا اليوم ولدتك كما يقول ايضاً في موضع اخر انت الحبر الى الابد كدرجة ملكيزادق . ولم يقُل ان الله كان المتكلم في ما كُتِب في المزامير فقط بل ايضاً في ما كتبهُ الانبياء . فمن الاصحاح الثامن أُورِد كلام طويل من ارميا النبي قيل فيهِ انهُ كلمة الله وهو قولهُ هوذا تاتي الايام يقول الرب الى اخرهِ . ولنكتفِ بشهادةٍ اخرى من هذه الرسالة وهي قولهُ في الاصحاح العاشر ويشهد لنا ايضاً الروح القدس بعد ما قال هذا هو العهد الذي اصنع معهم بعد تلك الايام يقول الرب الى اخرهِ

وبالاجمال نقول انهُ كما ان الذين كتبوا العهد القديم قالوا انهم كانوا يتكلمون بما انزل الله عليهم كذلك قد استُشهِدت جميع كتب العهد القديم في العهد الجديد واعتُبِرت كانها من الله ومكتوبة بالهامهِ . وبعسر وجود آيةٍ واحدةٍ ذُكِرت فيها هذه الكتب المقدسة ولم يكن فيها اشارةٌ الى الالهام بها على سبيل التصريح او التلميح

الفصل الخامس عشر

في الالهام بكتب العهد الجديد

اذا كان العهد القديم قد كُتِب بالهام كما اتضح فيما سبق من الكلام واذا كان العهد الجديد يتضمن اعلانًا من الله يحتاج اليهِ الانسان كما احتاج الى ما أُعلِن في العهد القديم بل هو بالحقيقة تتميمهُ فهل يمكننا ان نصدّق ان الله اذا الهم الانبياء في كتابة الاول منهما يترك الثاني الى ضعف مؤلّفين لا الهام لهم

فلا ريب انهُ يلزم لتتميم المقصود من الاعلان أن الالهام يرشد الذين يكتبونهُ. لان المقصود من الاعلان انما هو تأدية معرفة صحيحة بالحق لارشاد الناس في الايمان والاعمال. ولكن اذا كان الكتاب الذي يتضمن مثل هذا الاعلان من تاليف البشر وهم في حال القصور والغلط فلا يمكن ان نتحقق في امرٍ من الامور المكتوبة ان عندنا الحق المعلَن خاليًا من الضلال. وقد يكون الذين كتبوهُ من اهل الصدق والامانة ولا نامن انهم لم يكونوا مثل ساير الناس محلّ الغلط والضلال وتحت طايلة الغرض والتعصب. واذ ذاك يكون من الواضح ان المقصود من الاعلان يبطل على الاكثر ما لم يُلهَم الناس الذين يكتبون

الكتاب الذي يتضمنهُ

وايضاً اذا تاملنا بالانتباه فحوى كتب العهد الجديد لا نستطيع ان نثق بها ثقةً كاملةً مالم تكن لنا بيناتٌ على ان الالهام قد ارشد الذين كتبوها. نعم ان العقل عند النظر الاول في تدوين كلام يسمعه انسانٌ او حوادث يراها يتبادر الى ان الامر انما يحتاج الى صدق المورخ واستقامتهِ فقط. فقد يُسلَّم بذلك على نوعٍ اذا كتب الشاهد حالاً ما سمعهُ او رآهُ. ولكن من يصدق انهُ بعد مضي عشر سنين او خمس عشرة او خمسين استطاع اصحاب الاناجيل ان يكتبوا بالتحقيق التام خُطَباً طويلةً لمعلمهم وان يذكروا بالصحة جميع ظروف معجزاته التي اخبروا بها. نعم قد يقال انهم يستطيعون ان يخبروا بجوهر القضايا التي عاينوها. ولكن ذلك لايشفي غليلاً بل كان مثل هذا التاريخ يفقد جزءاً من الاحترام الذي يجب ان يكون لهُ لكي يتسلط على ضمائر الناس ويكون اساساً لثقتهم الكاملة. واما من جهة التعاليم السامية التي يعلّم بها الرسل في رسايلهم فاذا سلمنا بانهم كانوا فيها كغيرهم في محلّ الغلط فلا بد ان نسقط دايماً في الريب خايفين انهم لم يفهموا ما سمعوهُ او نسوهُ او انهم لتاثير الميل والتعصب عوَّجوا الحقايق التي كتبوها وهم لايعلمون

ولكننا لم نُترَك لنستفيد من مجرد مقتضى الحال ان الذين كتبوا العهد الجديد كانوا ملهمين من الروح القدس. بل لنا

براهين كثيرة صريحة على ان الرب قد وعد بالارشاد المعصوم من الغلط تلاميذهُ الذين اختارهم شهودًا لهُ امام العالم وسلَّمهم اذاعة ديانتهِ بين جميع الشعوب وفي جميع الاعصار. من ذلك قولهُ واطلب الى الاب فيعطيكم معزيًا ليثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لا يطيق العالم ان يقبلهُ لانهُ لا يراهُ ولا يعرفهُ. واما انتم فتعرفونهُ لانهُ حالٌّ فيكم وسيكون فيكم. وان الروح القدس الموعود بهِ ههنا كان ارساله لكي يرشد الرسل في تأدية شهادتهم يظهر مما ورد في الفصل الخامس عشر من انجيل يوحنا حيث يقول فاما اذا جاء الفارقليط الذي ارسلهُ انا اليكم من الاب روح الحق الذي من الاب ينبثق فهو يشهد لاجلي. واما الوعد بالالهام التام فموجودٌ على اجلى بيانٍ في الفصل السادس عشر حيث يقول واذا جاء روح الحق فهو يعلّمكم جميع الحق لانهُ ليس ينطق من عندهِ بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سياتي وهو يمجدني لانهُ ياخذ مما لي ويخبركم. جميع ما هو للاب فهو لي فمن اجل هذا قلت انهُ مما لي ياخذ ويخبركم. وايضًا وعد المسيح تلاميذهُ بالهام التلقين عند ما يُدعون الى الجواب امام الملوك والرؤساء وامرهم ان لا يهتمُّوا سابقًا بما يقولون لانهم يُعطَون ما يجب ان يقولوهُ في وقت الحاجة. من ذلك قولهُ لانكم لستم انتم المتكلمين بل الروح القدس هو الذي يتكلم فيكم. فاذا كان الرسل قد أُعطُوا الالهام التام لكي يستطيعوا ان يدفعوا عن انفسهم امام المحاكم المدنية

فلا يُظَنَّ انهم تُرِكوا بدونهِ عند ما كتبوا كلام المسيح واعمالهُ مقصودًا بكتابهم ان يكون دليلاً للكنيسة الى اخر الزمان . واذا كان الرسل قد اتاهم الالهام مرةً ما فلا شك ان يكون ذلك حينما أُمِروا بختم تدوين شهادة الله . ولا يوافق العقل ان نعتقد بان كل كتابٍ من كتب العهد القديم أُعطِي بوحي من الله وان كل كتب العهد الجديد كُتِبت بدون هذه المساعدة . وعدم موافقة ذلك للعقل يظهر باجلى بيانٍ اذا نظرنا الى ان نور العهد الجديد اشرق من القديم باضعافٍ كثيرة . ان الذي سبق المسيحَ وبشَّر بمجيئهِ كان اعظم الانبياء الذين تقدموهُ ولكن الاصغر في ملكوت السموات هو اعظم منهُ . فلذلك اذا كان جميع الانبياء قد تكلموا كما الهمهم الروح القدس فلا يُصدَّق ان الرسل الذين كانوا شهود المسيح المنتخبين واعظم روساء ملكوتهِ تُرِكوا خالين من هذه الهداية العاصمة من الغلط وهم مشتغلون باعظم ما تعيَّن لهم من الواجبات المهمَّة . وعلى ذلك يدَّعي الرسل بالالهام ويتكلمون بسلطانٍ يُحسَب من الاستكبار لو لم يكونوا تحت هداية مرشدٍ لا يغلط . فلا يكتبون مجرَّد ارآئهم الشخصية ويثبتونها بالبرهان ولكن يكتبون كاناسٍ يعرفون حق ما يكتبونهُ ويحكمون في مسايل لا يعرفها بالتحقيق غير الذين يتدبرون بالهامٍ من الله

وفضلاً عن ذلك ان بعض العهد الجديد من باب النبوة ككثيرٍ من العهد القديم . واذا كانت صحيحةً فيستحيل ان يكون

قد كُتِب بدون الالهام. فالرويا التي رآها يوحنا اما ان تكون خرافةً باطلة واما ان تكون قد كُتِبت بالهامٍ. وقد التزم بعض الذين ينكرون الوحي بالاقرار ان عليها سمة القدرة الالهية لما فيها من عظمة الافكار والطبقة العليا في الكلام. ولو كان لنا فرصةٌ لكي نقابل بالتاريخ الصحيح ما يوجد في هذا الكتاب الفريد من النبوة لحصلت لنا بينةٌ على الهام كاتبهِ لا يسهل دفعها. وقد وجد فيها كثيرون من ذوي الدراية والتحقيق اقوى البراهين على الالهام الالهي. ومثل ذلك يقال في جميع نبوات العهد القديم والعهد الجديد على انهُ ان كان فيها شيءٌ من الصحة فلا بد من كونها بالهام الله. اذ من الحق الواضح انه لا يستطيع احدٌ ان يتنبأ بالحوادث المزمعة الوقوع الا من كان ملهمًا من روح الله. وبالحقيقة يجب ان نعتقد ان موسى وامثالهُ كانوا ملهمين عند ما اخبروا ان الله كلمهم واعلن لهم الاوامر والسنن ما لم ننكر صدقهم. ولكن كلامنا الان مبني على افتراض كون هذه الكتب صحيحة وقد كتبها اناسٌ من اهل الحق والامانة

وكثيرًا يُجعَل اسلوب كلام الانجيليين برهانًا على الهامهم. لا لانهم كتبوا بفصاحةٍ معجزة بل لانهم كتبوا كاناسٍ مجرَّدين عن العواطف البشرية. فانهم يكتبون ببساطةٍ غير مصنَّعة وباعتبارٍ للحق خالٍ عن كل ميلٍ وهوى نفسي على نوعٍ لا نظير له في مولَّفات البشر. وكيف استطاع اناسٌ اميّون ان ينشئوا كتبًا مثل هذه من

دون الهام من الباري تعالى . فلو اختير الف رجلٍ من العقلاء غير معتادين على الانشاء ليكتبوا تاريخًا بسيطًا في اغرب ما اطّلعوا عليهِ من الوقايع لما وُجِد في واحدٍ من مولّفاتهم شيءٌ يشبه اسلوب كلام الاناجيل . وقد شرع اناسٌ كانوا اكثر علمًا من الرسل في ان يكتبوا اناجيل من غير الهامٍ ونسبوها الى بعض الرسل . ولكن احسن البينات على وجود الالهام في كتابة الاناجيل الحقيقية يُستفاد من مقابلتها مع هذه الكتب الغير القانونية المنسوبة الى الرسل زورًا

ولكن لاحاجة الى اعادة ما قد ذُكِر في باب البينات الداخلية . بل انما نقول بالاجمال ان جميع البراهين المورَدة في ذلك الباب على صحة الاعلان الالهي تبرهن على حقيقة الالهام ايضًا باجلى بيان . ولهذا يُراجَع ما قيل في الفصل المذكور عوضًا عن تكرار الكلام مرةً ثانية

والمعجزات ايضًا تفيد اقطع البراهين على الهام كتابٍ اذا تحققنا ان الذي كتبه كان لهُ قوةٌ على اجتراحها . لان اخصَّ الاغراض من اظهار المعجزات انما كان البرهان على ان الذي كان يتكلم كان مُرسَلاً من الله الى الناس في امرٍ من الامور . كما قال نيقوديموس بالحق اننا نعلم انك جيت معلمًا من الله لان لايستطيع انسانٌ ان يعمل المعجزات التي انت تعمل ما لم يكن الله معهُ . واذا كانت المعجزات كافيةً للبرهان على صحة اعلانٍ شفاهيّ

أفلا تكون منفعة كذلك في اعلانٍ مكتوب. واذا وُجد فرقٌ فانما يكون من جهة الاخير منهما لان الاحتياج الى كون الاعلان المكتوب الذي يُقصَد بهِ تعليم اهل كل زمانٍ مثبتًا بالبينات الصريحة اشدُّ ضرورةً من الاحتياج الى ذلك في الاعلان الشفاهي الذي لا يسمعهُ الا قليلٌ من الناس ويفقد حالما يُنطَق بهِ

ولا يخفى ان جميع ما قلنا في شان الالهام انما قيل بناءً على التسليم بصحة ما ذُكِر في العهد الجديد وبان الكتب المقدسة تتضمن اعلانًا من الله. والكلام الان ليس مع الكافرين بل مع الذين يقرُّون بان الديانة المسيحية عمومًا جاءت من الله ولكن يرتابون في ان الذين كتبوا كتب العهد القديم والعهد الجديد قد كتبوها بالهام تام او ينكرون ذلك على الاطلاق. وبما ان هؤلاء يسلّمون بان الرسل والانجيليين كانوا من اهل الصدق والاستقامة فمن الواجب ان يصدّقوا شهادتهم. فاذا ادَّعوا بالوحي لا يستطيع المذكورون ان ينكروهُ عليهم لانهم بذلك ينفون صدقهم ويبطلون اقطع الادلَّة على صحة الديانة المسيحية. ولماذا أُعطِي اصحاب الكتب المقدسة قوة عمل المعجزات الا لكي يوثق بشهادتهم احسن الثقة. فحينما يقولون ان الروح القدس تكلم فيهم وان الذي سلموهُ للناس لم يكن كلام البشر بل كلامًا منزلاً عليهم بالوحي ألا تثبت قوتهم على عمل المعجزات ما كتبوهُ كما تثبت

ما قالوهُ

واذ قد بيّنا في ما سبق من الكلام ان الرسل قدّموا شهاداتٍ كافية على الهام العهد القديم فلنورد الان بعض عبارات تبرهن على انهم ادّعوا بالالهام لانفسهم. فانهم يسمُّون دايمًا ما تكلموا به كلمة الله. وبولس يصرّح بانهُ لم يقبل ما كرز بهِ من انسانٍ بل من وحي يسوع المسيح وان الذي كتبهُ انما كان وصايا الرب وان ما علّم بهِ هو واخوتهُ قد اوحى بهِ اليهم الله بروحهِ. ولذلك قال ان الذي يحتقر ما علّم بهِ لايحتقر الناس بل الله. وبطرس يحسب الوصايا المسلّمة من الرسل مع كلام الانبياء ويعدُّ رسايل بولس مع الكتب المقدسة كما ذكرنا سابقًا. ويوحنا يقول نحن من عند الله فالذي يعرف الله يسمعنا ومن لم يكن من الله فلا يسمعنا وبذلك نعرف روح الحق وروح الضلال

ولا يبقى علينا الان لاجل اتمام البينة على الهام العهد الجديد والعهد القديم الاّ البرهان على ان هذه الاسفار كانت مقبولةً عند الكنايس المسيحية بالاتفاق على صحة الالهام بها. ولكن مع انهُ يوجد اصرح البينات على ذلك لابد للكلام فيهِ من تفصيلٍ واسهاب وذلك لايناسب هذا المختصر. فبما اننا قد وضعنا لهذا الموضوع محلاً في غير هذا الكتاب لاحاجة الى ذكرهِ هنا. الاّ اننا نقول بالاجمال ان في الاجيال الاولى لم ينكر احدٌ من المسيحيين الاّ بعض الارائفة الهام الكتاب المقدس بل تمسك

الجميع بذلك كحقيقةٍ جوهرية في ديانتهم. فلم يبقَ الاَّ للذين يريدون ان يدعوا انفسهم من اهل العقل والبصيرة في هذه الايام الاخيرة ان يعترفوا بصحة القضايا المذكورة في الكتاب المقدس وهم ينكرون الهام الذين كتبوهُ. ولكن لا يستطيع احدٌ ان يذهب الى ذلك وهو لا يعتقد بالشيء ونقيضهِ. فاذا اقرُّوا بمعجزات الكتاب ونبواتهِ وبان الديانة المسيحية من الله كان الهام الذين كتبوا هذه الكتب نتيجةً لازمةً من اقرارهم وانكار ذلك اعظم ما يناقض بهِ الانسان نفسهُ. وبالعكس اذا أُنكِر الالهام فما لا يُترَك الاقرار بصحة المعجزات والنبوات

واما الاعتراضات التي يُعتَرض بها على الهام الكتب المقدسة التام فلا نهاية لها كالواقع في امر كيفية كون العالم المنظور من حيث هو خليقة الله. ولا ريب في انهُ توجد مشابهة كلية في توجيه التعلُّل بين الكافرين بوجود الله والكافرين بالوحي. ومرجع براهينهم جميعها الى الجهل البشري. فانهم لا يستطيعون ان يتصوروا خليقةً تُخلَق من كائنٍ غير محدود في قدرتهِ وحكمتهِ ولا وحيًا فائق الطبيعة من ذات هذا الكائن لا يكونان محلاً لاعتراضاتٍ عظيمة مثل اعتراضاتهم بل اعظم مما يستطيعون ان يعترضوا بهِ على اعمالهِ الموجودة وكتابهِ

واما من جهة الاعتراضات الخصوصية الناتجة مما ظاهرهُ يوهم التناقض ومن الحوادث الفائقة الطبيعة ومن بعض تعاليم

عويصة توجد في الكتاب المقدس فيجب على القاري ان يراجع المطوّلات في هذا الموضوع . ولا يسعنا ان نقول هنا الاَّ بالاجمال ان الاعتراضات الاعتيادية على الهام الكتب المقدسة تناقض صحة الحوادث والقضايا المذكورة فيها بقدر مناقضتها للالهام بها . فلهذا لا احتياج الى نظرٍ فيها ورد عليها في هذا الباب

فملخّص جميع البينات على كمال الالهام في كتب العهد القديم والعهد الجديد هو اولاً جميع البينات الداخلية على الديانة المسيحية سواءٌ كانت من جهة عظم قيمة التعاليم المتضمنة في هذه الكتب وبساطة وسمو اسلوب كلامها . او من كمال صفات يسوع المسيح وسيرته الطاهرة الحسنة . او من الاقرار الدايم بعناية الباريء تعالى مع روح التقوى الطاهر والعبادة الخالصة الموجودة في كل صحيفةٍ من صحايفهِ . او من قدرة الكتب المقدسة على الدخول الى القلب واصلاحهِ . او من مناسبتها لمزاج العقل البشريء وللمعاملات والتعلقات الكاينة بين الناس . فان جميع ذلك يشهد بان هذا الكتاب قد كتبه اناس بارشاد الروح القدس وهم معتصمون به من السهو والضلال

ثانيًا ان كل نبوةٍ تمّت فهي بينة قاطعة مستقلّة بذاتها على الهام ذات السفر الذي يتضمنها من الكتب المقدسة . وكذلك جميع الشرايع التي خرجت من فمهِ تعالى يجب ان تُعَدَّ اوامر ملهمًا بها مالم يقع الريب في صحة الخبر من اصلهِ

ثانيًا انهُ كانت لاكثر الذين كتبوا اسفار الكتاب المقدس قدرةٌ على عمل المعجزات . فذلك برهانٌ على ان الله قد تكلم بواسطتهم عند من يعتقد بصحة وقوعها . واذا كان الانبياء والرسل قد أُلهموا بالكلام الذي تكلموا بهِ مع الناس شفاهًا فمن باب اولى ان يكونوا ملهمين في تدوين الكتابات التي كان الغرض منها ارشاد ايمان المومنين واعمالهم الى اخر الزمان

رابعًا ان الذين كتبوا الكتاب المقدس غالبًا يدَّعون بالالهام . فيتكلمون بسلطانٍ باسم الرب ويسمُّون ما تكلموا بهِ كلام الله .

خامسًا ان الرب يسوع قد وعد تلاميذهُ بالالهام الكامل . كما انهم ايضًا قد ادَّعوا بانهم كانوا تحت الهام الروح فيما كتبوهُ

واخيرًا فيما كان بعض الرسل احياء قد وضعت جميع الكتابس الاولى كتاباتهم بين الكتب المقدسة وقبلتها على انها ملهم بها من الله وكلام الله المعصوم من الغلط

فبناء على جميع ذلك لانستطيع الا ان نحكم بان جميع كتب العهد القديم والعهد الجديد قد كُتبت بالهامٍ من الله . وانها تتضمن قانونًا معصومًا من الغلط لارشاد ايمان الكنيسة واعمالها ما دام العالم موجودًا .

انتهى

طبع في بيروت سنة ١٨٥١ مسيحية